صِلَةُ الأَهْلِ وَالأَقْرَبِينَ بِتَعْلِيمِ الدِّينِ

الرسالة العشرون من مجموع الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر

مقرر الدورة العلمية في موسم شهداء مؤتة الأبرار (1445هـ)

تأليف

الإمَامِ الجَامِعِ بَينَ عُلُومِ البَاطِنِ وَالظَّاهِرِ

الحَبِيبِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ طَاهِر

بَاعَلَوِيّ الحُسَيْنِيّ

رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى

(١١٩١هـ - ١٢٧٢هـ)

صلة الأهل والأقربين بتعليم الدين

الرسالة العشرون من مجموع الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر

تأليف

الإِمَامِ الجَامِعِ بَينَ عُلُومِ البَاطِنِ وَالظَّاهِرِ

الحَبِيب عَبدِ ٱللهِ بنِ حُسَينِ بن طَاهِر

باعَلَوِيّ الحُسَينِيّ

رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى

(١١٩١هـ - ١٢٧٢هـ)

مقرر الدورة العلمية في موسم شهداء مؤتة الأبرار (١٤٤٥هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَرْجَمَةُ الحَبِيْب عَبْدِ اللهِ بْن حُسَيْنِ بْن طَاهِر بَاعَلَوِيّ الحُسَيْنِيّ

رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ[1]

(١١٩١هـ - ١٢٧٢هـ)

الإمام الكبير، والعَلَمُ الشَّهير، الجامع بين عِلْمي الباطن والظاهر، ذو الجود المتواتر، والمجد الباهر، الزاهد الورع، الداعي إلى الله تعالىٰ بالحكمة والموعظة الحسنة.

ولد سنة (١١٩١هـ) بمدينة تريم، ونشأ بها نشأةً حسنةً مميزةً عن سائر أقرانه وخِلّانه، حتىٰ شَبَّ عن الطَّوْق، وغدا في المجتمع العام ذا شخصيةٍ كُبرىٰ مِن شخصيات الاهتداء والاقتداء.

وأخذ عن مشايخ كثيرين يأتي في مقدمتهم: شيخه العلامة السيد حامد بن عمر المنفر، وابنه العلامة السيد عبدالرحمٰن، والعلامتين عمر وعلوي ابنا الحبيب أحمد بن حسن الحداد.

وارتحل إلىٰ مكة والمدينة، مكث سنوات هناك، تلقَّىٰ أثناءها بمكة عن العلامة السيد عقيل بن عمر بن عقيل بن يحيىٰ، وعن السيد علي البيتي، والشيخ عمر بن عبدالرسول عطار، والعلامة

---

(١) **مصادر الترجمة**: «تاريخ الشعراء الحضرميين» للسيد عبدالله بن حامد السقاف، و«فيوضات البحر الملي» للسيد طه بن حسن السقاف، و«مجموع كلام الحبيب علوي بن شهاب».

السيد أحمد بن علوي جمل الليل.

وأمَّا شيخُ فَتْحِهِ.. فهو الإمام الكبير العلامة عمر بن سقاف بن محمد السقاف.

❋ ❋ ❋

كما أنَّ الآخذين عنه كثيرون، ومن أشهرهم: ابن أخته العلامة السيد عبدالله بن عمر بن يحيىٰ، والعلامة السيد عبدالرحمٰن بن علي بن عمر بن سقاف السقاف، والعلامة السيد محمد بن حسين بن عبدالله الحبشي مفتي مكة، والعلامة السيد محسن بن علوي السقاف، والعلامة السيد حامد بن عمر السقاف، والشيخ عبدالله بن أحمد باسودان، والشيخ العلامة عبدالله بن سعد بن سُمير، والعلامة السيد عيدروس بن عمر الحبشي.

❋ ❋ ❋

أنتم شهداء الله في أرضه

فمِمَّا قالوا عنه:

قال عنه ابن أخته **الحبيب عبدالله بن عمر بن يحيىٰ**: (خالي عبدالله بن حسين **اجتمعت فيه** أحوال أهل «المشرع» كلهم).

ولما سأله أهل المدينة عنه؟ قال لهم: (خالي عبدالله بن حسين **تخلَّىٰ** عن المُهلكات، **وتحلَّىٰ** بالمُنجيات، **ووصفه** «الإحياء» وزيادة).

وذكروا أن جُلَّاسَهُ يقولون: ما عرفنا أننا في الدنيا إلَّا لمَّا مات ولد حسين، وإلَّا.. كانوا يعدُّون أنفسهم في الجنة.

وقال **الحبيب علي الحبشي**: (لو جاء كاتب يا يكتب أعمال ولد حسين.. ما يا يقدر يكتبها أو يحصيها لكثرتها).

وقد أُثِر عنه أنَّه **كان قيامه بالليل** بعشرة أجزاءٍ من القرآن، **وفي صلاة الضحىٰ** ثمانية أجزاء، **ومِن أوراده** خمسة وعشرون ألفًا مِن (يا ألله)، وخمسة وعشرون ألفًا من (لا إله إلا الله)، وخمسة وعشرون ألفًا مِن الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وعلىٰ كثرة هذه الأعمال، وجليل هذه الخصال.. فهو يقول في شِعره معترفًا:

يَا رَبِّ مَا مَعْنَا عَمَلْ وَكَسْبُنَا كُلُّهْ زَلَلْ
لَكِنْ لَنَا فِيْكَ أَمَلْ تُحْيِي الْعِظَامَ الرَّامَّةْ

* * *

أدبه مع أخيه طاهر

كان عميق التأدُّبِ مع أخيه سيدنا الحبيب طاهر بن حسين، وهذا التأدب كان ملازمًا له من صغره، فهو يذكر أنه لمَّا كان يلعب مع أخيه.. يتظاهر بالهزيمة أدبًا لأخيه، واستمر معه في كبره، فكان يتجنَّب الصعود إلى المكان الذي يكون تحته أخوه، كما لم يتقدَّم عليه في مشيٍ أو غيره مدىٰ حياته؛ تأدبًا معه وحُرمةً له.

* * *

مؤلفاته

يذكرون أنَّ مؤلفاته **حوت الخلاصة** والزبدة من كلام الإمام الغزالي والإمام الحداد، ومِن مؤلفاته:

«سلم التوفيق» في الفقه وغيره، و«مفتاح الإعراب» في النحو، و«الوصية الكبرىٰ»، و«تذكرة النفس والإخوان بآياتٍ من القرآن وأحاديث سيد ولد عدنان»، إضافة إلىٰ «رسائل ووصايا وفرائد وفوائد من فتح جميل العوائد» كما سمَّاها.

وله «ديوان منظوم»، ومن أهمه منظومة (هديّة الصديق للأخ والرفيق)، وقد جمعت رسائله وعهوده ومكاتباته ووصاياه في «مجموعه العظيم».

* * *

وفاته

وقد توفي منتصف ليلة الخميس (١٧) ربيع الثاني، عام (١٢٧٢هـ)، وشُيِّعتْ جنازته في جموعٍ غفيرةٍ، توافدت من مدن وقرىٰ وجهات كثيرة، ودُفن إلىٰ جانب أخيه طاهر بن حسين، رحمهما الله آمين.

وكتبه

السيد علوي بن حسن علوي الحداد

عفا الله عنه، آمين

الرِّسَالَةُ الْعِشْرُونَ

صِلَةُ الْأَهْلِ وَالْأَقْرَبِيْنَ بِتَعْلِيمِ الدِّيْنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وأن محمداً رسول الله ، صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم والتابعين .

أمَّا بعد :

فهٰذه صلة الأهل والأقربين بتعليم الدين ، **يجب** على الآباء والأمهات ، والأولياء والولاة : تعليم أولادهم وأهلهم ، وعبيدهم وكل من لهم عليه ولاية ما يجب عليهم ؛ كالإيمان ، والصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، وأمرُهُم بذلك .

ويعلمونهم تحريم المحرّمات ؛ كالزنا ، واللواط ، وكشف العورة ، والسرقة ، والخيانة ، والكذب ، والغيبة ، والنميمة ، والكِبر ، والحسد ، والرياء ، ونحو ذلك .

وينهونهم عن ذلك ؛ فإن أهملوا ذلك .. فقد غشّوهم وخانوهم وظلموهم .

قال في « الإحياء » [٣/١٣٩] : (يُقالُ : إنَّ أوَّلَ ما يتعلَّقُ بالرَّجُلِ يومَ

القيامةِ أهلُهُ وولدُهُ ، فيوقفونَهُ بينَ يدي اللهِ تعالىٰ ، فيقولونَ : يا ربَّنا ؛ خُذْ لنا بحقِّنا منهُ ، فإنَّهُ ما علَّمنا ما نجهلُ ، وكانَ يُطعمُنا الحرامَ ونحنُ لا نعلمُ ، فيقتصُّ اللهُ لهُمْ منهُ ... وقالَ صلّى الله عليه وآله وسلَّمَ : « لَا يَلْقَى اللهَ أَحَدٌ بِذَنْبٍ أَعْظَمَ مِنْ جَهَالَةِ أَهْلِهِ »[1]) .

وعن عَلْقَمَةَ عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : « مَا بَالُ أَقْوَامٍ لَا يُفَقِّهُونَ جِيرَانَهُمْ ، وَلَا يُعَلِّمُونَهُمْ وَلَا يَعِظُونَهُمْ ، وَلَا يَأْمُرونَهُمْ وَلَا يَنْهَوْنَهُمْ ، وَمَا بَالُ أَقْوَامٍ لَا يَتَعَلَّمُونَ مِنْ جِيرَانِهِمْ ، وَلَا يَتَفَقَّهُونَ وَلَا يَتَّعِظُونَ ، وَاللهِ ؛ لَيُعَلِّمُنَّ قَوْمٌ جِيرَانَهُمْ وَيُفَقِّهُونَهُمْ وَيَعِظُونَهُمْ ، وَيَأْمُرونَهُمْ وَيَنْهَوْنَهُمْ ، وَلَيَتَعَلَّمُنَّ قَوْمٌ مِنْ جِيرَانِهِمْ وَيَتَفَقَّهُونَ وَيَتَّعِظُونَ .. أَوْ لَأُعَاجِلَنَّهُمْ بِالْعُقُوبَةِ فِي دَارِ الدُّنْيَا » ، أخرجه البخاري في «الوُحْدَانِ» ، وابن السَّكَن ، وغيرهما[2] .

---

(١) كذا في « القوت » (٢/ ٢٥١) ، وقال الحافظ العراقي : (ذكره صاحب « الفردوس » من حديث أبي سعيد ، ولم يجده ولده أبو منصور في « مسنده ») . « إتحاف » (٥/ ٣١٧) .

(٢) الحديث أخرجه ابن راهويه ، والبخاري في « الوُحْدَانِ » ، وابن السَّكَن ، والباوردي ، وابن مَنْدَهْ عن علقمة بن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه عن جده ، قال ابن السَّكَن : (ما له غيره وإسناده صالح) ، ورواه الطبراني . « جامع الأحاديث » للسيوطي (١٨/ ٤٥٨) .

وأخرجه الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١/ ١٦٤) ، وفيه : « خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَثْنَى عَلَى طَوَائِفَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ، ثُمَّ قَالَ : » وذكر الحديث ، وزاد فيه :

« ثُمَّ نَزَلَ ، فَقَالَ قَوْمٌ : مَنْ تَرَوْنَهُ عَنَى بِهَؤُلَاءِ ؟ قَالَ : الْأَشْعَرِيِّينَ ، هُمْ قَوْمٌ فُقَهَاءُ ، وَلَهُمْ جِيرَانٌ جُفَاةٌ مِنْ أَهْلِ الْمِيَاهِ وَالْأَعْرَابِ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْأَشْعَرِيِّينَ ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ذَكَرْتَ قَوْمًا بِخَيْرٍ ، وَذَكَرْتَنَا بِشَرٍّ ، فَمَا بَالُنَا ؟ فَقَالَ : « لَيُعَلِّمَنَّ قَوْمٌ جِيرَانَهُمْ ، وَلَيُفَقِّهَنَّهُمْ ، وَلَيُفَطِّنَنَّهُمْ ، وَلَيَأْمُرَنَّهُمْ ، وَلَيَنْهَوْنَهُمْ ، وَلَيَتَعَلَّمْنَ قَوْمٌ مِنْ جِيرَانِهِمْ ،

وإذا كان هٰذا في الجار مع الجار .. فكيف بأهل الدار مع أهل الدار ؟!

فيجبُ عليهم أن يعلموهم من العقيدة أنَّ الله واحدٌ لا شريك له ، وأنّه ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير ، وأنَّ رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم صادقٌ فيما أخبر به .

ويعلِّموهم اتباع سنة السلف رضي الله عنهم ، والإيمان بجملة ما جاء به الكتاب والسنة من غير بحثٍ وتفتيشٍ وسؤالٍ عن تفصيل ، بل يقولوا : **آمنا وصدّقنا** .

ويشغلوهم بالتقوىٰ ، واجتناب المعاصي ، وأداء الطاعات ، والشفقة على المسلمين ، وسائر الأعمال الصالحة .

* * *

وأمَّا الصلاة .. فيعلمونهم أنها فرضٌ يكفر جاحدها ، ويُقتل إن

وَيَتَفَطَّنُونَ ، وَيَتَفَقَّهُونَ ، أَوْ لأُعَاجِلَنَّهُمُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا » ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنُفَطِّنُ غَيْرَنَا ؟ فَأَعَادَ قَوْلَهُ عَلَيْهِمْ ، وَأَعَادُوا قَوْلَهُمْ : أَنُفَطِّنُ غَيْرَنَا ؟ فَقَالَ ذَلِكَ أَيْضًا ، فَقَالُوا : أَمْهِلْنَا سَنَةً ، فَأَمْهَلَهُمْ سَنَةً لِيُفَقِّهُونَهُمْ ، وَيُعَلِّمُونَهُمْ ، وَيُفَطِّنُونَهُمْ ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّ كَانُواْ يَعۡتَدُونَ * كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ .

قال الهيثمي : رواه الطبراني في الكبير ، وفيه بكير بن معروف ، قال البخاري : ارم به . ووثقه أحمد في رواية ، وضعفه في أخرى . وقال ابن عدي : أرجو أنه لا بأس به .

لـم يتـب مرتـداً ، وتاركهـا كسـلاً يُقتـل إن لـم يتـب حـدّاً .

ويُؤمـر بهـا الصبـي والصبيـة بعـد سـبع سـنين إذا ميَّـزا ، ويُضربـان علـىٰ تركهـا بعـد عشـر سـنين .

ولها أحكامٌ كثيرةٌ واجبةٌ ومندوبةٌ :

منهـا : تجنُّـبُ النجاسـة في البـدن والثـوب ، والمحمـول والمـكان ؛ كالأرواث والأبـوال والدمـاء ، والمسـكر المائـع ، والكلـب والخنزيـر ، والميتـات إلَّا ميتـة الآدمـي والسـمك والجـراد ، **فيجـب** غسـل مـا أصابـه منهـا إلَّا أن يكـون شـيء يُعفـىٰ عنـه مثـل دمِ جرحِـهِ ودم نحـو البراغيـث ، وونيـم الذبـاب وإن كثـر ، **فـلا يجـب** غسـله .

وغسـلها وغسـل الأحـداث يكـون بمـاءٍ طهـورٍ ؛ بـألَّا يُخالطـه شـيءٌ يُسـتغنىٰ عنـه فيسـلب اسـمه أو يتغيَّـر طعمـه أو لونـه أو ريحـه بنجسٍ ولـو يسـيراً ، أو يلاقيـه نجسٌ وهـو دون القلّتيـن إلَّا أن يكـون شـيء يعفـى عنـه مثـل ميتـة لا دم لهـا سـائل لـم تطـرح ولـم تغيّـر ، أو يكـون دون القلّتيـن وقـد اسـتُعمل في رفـع حـدث أو نجـس .

ويجـب الاسـتنجاء مـن كل رطـبٍ خـارجٍ مـن السـبيلين بالحجـر أو نحـوه بشـروطه أو بالمـاء .

ويحـرم اسـتقبال القبلـة واسـتدبارها ببـولٍ أو غائـطٍ إلَّا أن يكـون بينـه وبينهـا حائـلٌ ثلثـا ذراعٍ فأكثـر ، لـم يبعـد عنـه بأكثـر مـن ثلاثـةِ أذرعٍ ؛ فـإن

كان .. كُرِهَ إلَّا أن يكون معدّاً لذلك .

ولا بُدَّ في غسل النجاسة من جري الماء على المحل المتنجس وورود إن كان دون القلتين ، وإزالة الطعم واللون والريح إن كان شيءٌ من ذلك ، وست غسلات بعد ذلك إن كانت كلبيةً مع مزج إحداهنَّ بترابٍ طهورٍ .

ويُسنُّ الدَّلكُ والتثليثُ من غير وسوسةٍ ، ولا يَطْهُرُ المائعُ إذا تنجَّسَ .

* * *

ويجب للصلاة الوضوء ؛ وهو : أنْ ينويَ الطهارة للصلاة ، أو رفع الحدث بقلبه ، ويغسل وجهه جميعه من منابت شعر رأسه إلىٰ منتهىٰ ذَقَنِهِ ؛ وهو : ما بين أُذنيه شعراً وبشراً إلَّا باطن لحية الرَّجُل وعارضيه إذا كثفن ، **ويجب** غسل ما تحت الرمص أو نحوه إن كان ، وكذا من سائر الأعضاء .

ثم يغسل يديه مع مِرْفَقَيْهِ ، ثم يمسح شيئاً من رأسه أو من شعره الذي لا يخرج بالمدِّ عن حدِّه ، ثم يغسل رِجْليه مع كعبيه ويرتبه هكذا .

وله سننٌ كثيرةٌ :

منها : السواك ، والبسملة ولو في أثنائه ، وغسل الكفين ، والمضمضة والاستنشاق قبله ، والمبالغة فيهما لمُفْطِرٍ ، وإطالة الغرَّة

والتَّحْجِيل ، ومسح كل الرأس والأذنين ، والتخليل ، والتثليث ، والدَّلك للكلِّ ، والموالاة ، والشهادتان بعده ، وركعتان .

وإن كان عليه غُسل من جماعٍ أو خروج منيٍّ أو انقطاع حيضٍ أو نفاسٍ أو ولادةٍ .. وجب غسل جميعِ البدنِ مع النية لرفع ذلك ، وسُنَّ له الوضوء ، وإزالة القذر ، وتعهد المعاطف ، والتثليث ، والدَّلك ، والتسمية ، والشهادتان بعده .

وينقض الوضوءَ ما خرج من أحد السبيلين ، والنوم لا ممكّن مقعده ، وزوال العقل ، ومس فرج الآدمي ودبره ببطن الكف ، وتلاقي بدنٍ لرَجُلٍ وامرأةٍ إلَّا المَحْرَم والصغير والشعر والسن والظفر .

ويُسنُّ الوضوء من الفصد والحجامة والرعاف ، والنوم ممكِّنًا ، ومن أكل لحم الجَزُور .

ومن انتقض وضوؤه .. **حَرُمَ** عليه الصلاة ، والطواف ، وحمل المصحف ومَسُّهُ ، ويزيد على الجُنُبِ اللبثُ في المسجد ، وقراءة القرآن ، ويزيد على الحائض الصوم ، واستمتاع الزوج بما بين سرتها وركبتها .

❁ ❁ ❁

ووقت إمكانه بعد تسع سنين ، **وأقله** يوم وليلة ، **وغالبه** ستٌّ أو سبعٌ ، **وأكثره** خمسةَ عشرَ يومًا ، **وأقل طهرٍ بين الحيضتين** خمسةَ عشرَ يومًا .

وأقل النفاس لحظة ، **وغالبه** أربعون يوماً ، **وأكثره** ستون ، **ويَحْرُمُ به** ما يَحْرُمُ بالحيض ، فإن طَرَأَ وقد مضىٰ من وقت الصلاة ما يسعها .. **وجَبَ** قضاؤُها ، وإن زال وقد بَقِيَ من وقت الصلاة ولو قدرَ تكبيرةٍ .. وجبت تلك ، وكذا ما قبلها إن كانت ظهراً أو مغرباً .

❋ ❋ ❋

وتقديم الصلاة علىٰ وقتها وتأخيرها عنه بغير عذرٍ من الكبائر .

ووقت الظهر إذا زالت الشمس إلىٰ مصير ظلِّ كلِّ شيءٍ مثله غير ظلِّ الاستواء ، ثم بعده العصر إلىٰ مغيب الشمس ، ثم بعده المغرب إلىٰ مغيب الشفق الأحمر ، ثم بعده العشاء إلىٰ طلوع الفجر الصادق المنتشر عرضاً ، ثم بعده الصبح إلىٰ طلوع الشمس .

وأفضل الأعمال المبادرة بالصلاة في أول وقتها ، **ويجب** استقبال القبلة ، وستر ما بين السُّرة والركبة من أعلى الجوانب للذكر والأَمَةِ ، وجميع بدن الحُرَّة إلَّا الوجه والكفين .

ويجب تجنُّب مُبطلاتها ؛ وهي الكلام ولو حرفين أو حرفاً مُفْهِماً ، والفعل الكثير كثلاث حركات وِلاءً ، وزيادة ركنٍ فعليٍّ عمداً ، وأكل ما ما يفطِّر الصائم ، والأكل الكثير مطلقاً ، ونية قطعها والتَّردُّد فيه ، ولا تبطل بالكلام القليل سهواً أو غلبة .

❋ ❋ ❋

وأركانها ثلاثة عشر :

الأول : نيته بقلبه فعل الصلاة ، فإن كانت ذات وقتٍ أو سببٍ .. عيَّنها ، وإن كانت فرضاً .. نواه .

وسُنَّ التلفظُ بها ، والإضافةُ لله تعالىٰ ، وعدد الركعات ، والأداء والقضاء ، والأذان والإقامة ، والسواك قبل ذلك .

الثاني : تكبيرة الإحرام والنية حاضرة معها ، وسُنَّ رفع اليدين حذاء شحمة الأذنين مع التكبيرة .

الثالث : القيام في الفرض إن قدر ، وإلَّا .. فيقعد ، وإلَّا .. فعلىٰ جنبه ، وإلّا ... فعلىٰ قفاه ورِجْلاه إلى القبلة ، ويُرفع رأسه بشيءٍ إن أمكن ليستقبل به ، ويتم الركوع والسجود إن قدر ، وإلَّا .. فيومِئُ بهما برأسه ، وإلَّا ..فبطَرْفِه ، وإلَّا .. فبقلبه .

الرابع : قراءة (الفاتحة) وسُنَّ قبلها دعاء الاستفتاح في أول ركعة ، والتعوذ كل ركعة ، وبعدها (آمين) وقراءة شيءٍ من القرآن وسورةٌ أفضلُ ، والجهر في موضعه .

الخامس : الركوع بحيث تصل راحتاه ركبتيه ، **ويُسنُّ** أخذهما بهما ، ومدُّ ظهره وعنقه كالصَّفيحَةِ الواحدة ، ويقول : (سبحان ربي العظيم) ثلاثاً .

السادس : الاعتدال إلىٰ أن يعود إلىٰ ما كان عليه قبله ، **ويُسنُّ** أن

يرفع يديه لهُوِيِّهِ للركوع مُكبِّراً ، ولرفعه منه قائلاً : (سمع الله لمن حمده) ، فإذا اعتدل .. قال : (ربنا لك الحمد ملء السماوات ، وملء الأرض ، وملء ما شئت من شيء بعد) .

السابع : السجود مرتين علىٰ بعض جبهته مكشوفًا ، علىٰ غير متصل به يتحرك بحركته ، مع التَّثاقُلِ والتَّنْكِيسِ ، وعلىٰ بعض بطن يديه وأصابع رجليه وركبتيه ، وسُنَّ وضع أنفه والتَّخْوِيَةُ[1] والمُجافاة للرَّجُل ، ويقول : (سبحان ربي الأعلىٰ) ثلاثًا .

الثامن : الجلوس بين السجدتين ، ولا بد من الطمأنينة في هٰذه الأربعة ، وسُنَّ أن يقول : (ربِّ اغفر لي ، وارحمني ، واجْبُرْنِي ، وارْفَعْنِي ، وارزقني ، واهدني ، وعافني ، واعفُ عنِّي) .

التاسع : التشهد الأخير .

العاشر : القعود فيه .

الحادي عشر : الصلاة على النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بعده .

الثاني عشر : السلام ، أقله (السلام عليكم) ، وسُنَّ زيادة (ورحمة الله) ، وتسليمةٌ ثانية .

---

(١) **التخوية** : وهي التفريج بأن يُفَرِّقَ رُكبتيه ويرفعَ بطنه عن فخذيه ومِرْفَقَيْهِ عن جَنْبَيْهِ في الركوع وفي السجود . « حاشية ابن قاسم العبادي » (٢/ ٧٧) .

الثالث عشر : الترتيب كما ذكرناه ، فلو خالف .. لم تصح .

***

ويُسنُّ التشهد الأول في غير الصبح ، والقنوت فيه ، والتكبير للانتقالات ، ونظره موضع سجوده ، وقَبْضُ اليمين علىٰ كوع اليسار في قيامه ، وجلسة الاستراحة ، والافتراش في كلِّ جلسةٍ إلَّا للتشهد الأخير فيتورَّك ، ووضع اليدين قريباً من الركبتين مبسوطة مضمومة ، ويقبض في التشهدين ما سوى المُسَبِّحَةَ من اليمنىٰ ويضمُّ الإبهام إليها ، وأن يُصلي إلىٰ شاخص أقله ثلثا ذراع لا يبعد عنه أكثر من ثلاثة أذرع ، فإن لم يجد .. بسط مصلىٰ ، **ويحرم** المرور حينئذٍ بين يديه .

ويُسنُّ الخشوع وحضور القلب ، وهو لبُّ الصلاة وسِرُّها ، وأن يصلي أوّل الوقت وفي جماعة ، والدعاء في آخرها وبعدها .

ويُكره فيها الالتفات ، والنظر إلى السماء أو إلىٰ شيءٍ يُلهيه ، ومع مضايقة الحدث ، وتَوَقَانِ الطعام .

ومَنْ شكَّ في عدد الركعات .. أخذ بالأقل ، أو في فعل ركنٍ .. أتىٰ به وسجد للسهو إلَّا أن يكون قولياً .

***

وأمَّا الزكاة .. فهي ركنٌ من أركان الإسلام ، يكفر جاحدها ، ولا تجب إلَّا في الإبل والبقر والغنم ، والذهب والفضة ، والتجارة

بشرط النِّصاب والحول إلَّا ما حصل من رِكَازٍ أو معدنٍ فلا يُشترط فيه الحَوْلُ .

وتجب في التمر والعنب والحبوب التي تُقتات حالة الاختيار إذا كانت مئةَ قَهاوِلَ[1] بالمدِّ الشرعي .

وواجبها العُشْرُ إن سُقي بغير مؤنة ، وإلَّا .. فنصف العُشْرِ ، يَصرِفُهُ لمن وُجِد من الأصناف الثمانية مع نية الزكاة بعد إفرازها وقبل التفرقة .

وتجب زكاة الفطر - وهي أربعة أمداد - من غالب قوت بلده ، عن الشخص وعن كل من عليه مؤنته ، إذا وجدها فاضلة عن قوت يوم العيد وليلته ، وعن دَينه ومسكنه وكسوته ، وذلك عند غروب آخر يوم من رمضان .

❁ ❁ ❁

وأمَّا صوم رمضان .. فهو ركن من أركان الإسلام ، يكفر جاحده ، **فيجب** صومه علىٰ كل مسلمٍ بالغٍ عاقلٍ طاهرٍ يطيقه .

ويجب على الحائض والنفساء القضاء .

وشرطه نيته ، وتعيينه ، وتبييتها في الفرض ، والإمساك من الفجر

---

(١) **القهاول**: مكيال معروف بحضرموت، وهو اثنا عشر مُصْرَىٰ، والمُصْرَىٰ بمقياس تريم يساوي مُدّاً واحداً، فالقهاول اثنا عشر مُدّاً، وذلك ثلاثة آصع نبوية.

إلى المغرب عن التقيء والاستمناء والجماع ، وعمّا يدخل جوفه من منفذٍ مفتوحٍ عامداً ولو ريقه إذا كان نجساً ، أو مختلطاً بغيره ، أو خرج من معدنه .

❁ ❁ ❁

وأمَّا حج البيت .. فهو ركنٌ من أركان الإسلام ، **فيجب** هو والعمرة في العُمر مَرَّةً علىٰ مَنِ استطاع إليه سبيلاً ، وعند إرادته **يجب** عليه تعلم أركانه وواجباته ومحرماته .

وكذا مَنْ أراد الدخول في شيءٍ من المعاملات ؛ كالبيع ، والإجارة ، والنكاح ، ونحوه ممَّا يجب عليه تعلُّم ما يحِلُّ وما يحرم .

❁ ❁ ❁

قال في « الموجز » : (**ومن الفروض** : الإخلاص لله في جميع العبادات ، فلا يطلب بها جزاء من الخلق ، ولا حمداً ولا خوفاً منهم .

ومنها : النصح للعباد فلا يغش مسلماً ، ولا يكتم عنه خيراً يطلبه ، ولا شيئاً يخاف منه .

ومنها : طاعة أولي الأمر في غير معصيةٍ ، ودلالتهم على الخير إن قدر .

ومنها : امتثال أمر الوالدين ، والأدب معهما في القول والفعل ،

والنفقة علىٰ مَنِ احتاج منهما ، وإعفاف الأب .

ومنها : تربية الولد وتهذيبه علىٰ فعل الخير وترك الشر ، والقيام بمؤونته حال ضعفه ، وتعليمه ما يجب عليه وما يحرم بعد البلوغ بالاحتلام أو الحيض أو استكمال خمس عشرة سنة ، ويأمره بالصلاة والصوم إن أطاقه لسبع وميَّز ، ويضربه عليهما لعشر .

ومنها : صلة الرحم ولو بالقول الليِّن ؛ وهم : كلُّ قريبٍ مِن جهة الأب أو الأم .

ومنها : مؤونة الزوجة بالمعروف نفقةً وكُسْوَةً وسَكَنًا كما يليق بها ، وتعليمها أحكام الزوجية ، والحيض والنفاس وانقطاعهما ، ومعاشرتها بالمعروف وهي كذلك ، وألّا تُدخِلَ بيتَهُ مَنْ يكرهُهُ ، ولا تَخرُجَ منه إلَّا بإذنه ، وأن تُطيعَهُ فيما أمر ما لم يكن معصية ، ولا تمتنعَ منه ولو على التَّنُّورِ .

ومنها : مؤونة المملوك نفقةً وكُسوةً ، وألاَّ يُحمِّلَه فوق طاقته ، وعليه الطاعة لسيده فيما يطيق ، والأدب معه قولاً وفعلاً .

ومنها : إنظار المعسر ، وإجابة دعوة العرس إلَّا لعذرٍ .

ومنها : الشفقة على المؤمنين ، وصحبة المحسنين منهم ، وللقريب والجار والصهر والصديق والشيخ والعالم آكد ، ويتعيَّن الأدب معهما .

ومنها : المشي علىٰ قانون الشرع في المعاملات ؛ كالبيع ، والإجارة ، والرهن ، وغيرها .

ومنها : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المقطوع به .

ومنها : توفية ما نذر به من طاعة .

ومنها : الصبر علىٰ ما قضى الله ، فلا يُظهر الجزع والشكوىٰ منه .

ومنها – وهو أهمها – : التوبة بالندم علىٰ ما فعل من الذنوب ، وتَرْكِها ، والعزم علىٰ ألَّا يعود ، وإرضاء الخصوم عمَّا جناه في نفسٍ أو مالٍ أو عِرْضٍ ، وتجديدُها كلَّما أذنب .

ومنها : ردُّ السلام علىٰ من ابتدأه به إلَّا من شابّةٍ علىٰ أجنبي .

ومنها : الختان علىٰ مَنْ بلغ بغير ختانٍ مِنْ ذكرٍ أو أُنثىٰ ، وقبل البلوغ سُنَّةٌ مِنْ وليِّه إن قَوِيَ له .

❁ ❁ ❁

فَصْلٌ

وأمَّا السنن .. فكثيرة جداً :

منها : ابتداء السلام على الجنس ، والمَحْرَمِ ، والعجوز ، وجمع النساء .

ومنها : تجديد الوضوء لمن صلىٰ به ، ويتأكَّد لأكل لحم الجَزُور ، ولجُنُبٍ أراد جماعاً أو نوماً أو طعاماً مع غسل الفَرْجِ .

ومنها : الأذان للمكتوبة للذكر ، والإقامة للكل .

ومنها : المحافظة علىٰ أداء الصلوات أول الوقت في جماعة .

ومنها : سجدة التلاوة للقارىء والسامع والمستمع ، وسجدة الشكر لآيتها لا في صلاة ، ولهجوم نعمةٍ أو اندفاع نقمة ، ولرؤية مبتلىً في دِينٍ أو غيره .

ومنها : التضحية كل عام في عيد الأضحىٰ .

ومنها : العقيقة عن كل مولودٍ .

ومنها : الضيافة وإكرام الضيف بحسب المقدرة ، **ويُكره** التكلُّف .

ومنها : المصافحة لكل لقاءٍ .

ومنها : الجهاد وقد يفرض على العين أو الكفاية .

ومنها : القرض ، والصدقة ، والوقف ، والعِتق ، والهديّة ، والإبراء .

ومنها : وليمة العرس ، والختان .

ومنها : عيادة المريض والتزاور ، وتشييع الجنائز وزيارة القبور ، وتشميت العاطس ، والسواك سيما عند الصلاة والوضوء ، والنوم والاستيقاظ ، ويحصل بكل خشنٍ .

ومنها : الاكتحال وتراً كل ليلة ، والادهان غِبّاً ، وتقليم الأظفار ، وقصُّ الشارب ، وإزالة شعر العانة ، والإبْط ، **ويكره** تأخيرها عن الحاجة ، والغسل بعدها حسن .

❁ ❁ ❁

فَصْلٌ

والمنهيات قسمان : حرامٌ ومكروهٌ .

والمحرمات : كبائرٌ وصغائرٌ .

فمن الكبائر : القتل بغير حقٍّ ، والزنا واللواط ، والسرقة ، والقذف ، والفرار من الزحف ، وشرب المسكر ، والوطء في الحيض ، وغصب حق الغير ، وشهادة الزور ، واليمين الكاذبة .

وعقوق الوالدين ؛ وهو : ما يُتأذىٰ به تأذِّياً ظاهراً ، وقطع الرحم ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا وفعله ، وخيانة الكيل والوزن ونحوه .

وترك الصلاة ، وتقديمها علىٰ وقتها ، وتأخيرها عنه بغير عذر ، وترك الزكاة ، وترك صوم رمضان ، وقطع الفرض بلا عذرٍ ، وترك

الحج للمستطيع حتىٰ يموت ، والحكم بغير الحق ، وكتم الشهادة ، وضرب المسلم بغير حق ، وسب الصحابة ، والوقيعة في العلماء ، والسعي إلى الظَّلَمة بما يضرُّ مسلماً ولو صدقاً ، وقبولها .

وأكل الميتة ، وقطع الطريق ، والسحر ، ونسيان القرآن ، وإحراق الحيوان .

والنميمة ؛ وهي : الإفساد بين المسلمين .

والكذب علىٰ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، واليأس من رحمته ، والأمن من مكر الله .

ومنها : الرياء بعبادة الله ؛ وهو : العمل لأجل الناس .

ومنها : الغيبة ؛ وهي ذِكْرُك أخاك بما يكره ولو صادقاً إلَّا للنصيحة أو إزالة ظلم أو بما يُجهَر به ، والسكوت عليها مع قدرة النهي .

ومنها : الكذب ومُحاكاة المسلم ، والسخرية به بقولٍ أو فعلٍ .

ومنها : ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر البيِّن المتحقَّق بالمنع إن قدر ، وإلَّا .. فباللسان ، وإلَّا .. فبالقلب ويفارقه .

ومنها : الفتوىٰ بغير علمٍ ، والنياحة على الميت ، وإظهار الجزع بنحو شقِّ ثوبٍ .

ومنها : تصوير الحيوان .

ومنها : **الحسد** ؛ وهو : كراهة الخير لمسلمٍ ، ومحبة الشرِّ له . ومَن أحسَّ مِن نفسه بشيءٍ من ذلك .. فليرده وليكرهه ، ويدعو لمن حسده .

ومنها : سب المسلم وإيذاؤه بغير حقٍّ .

ومنها : **الإعجاب بالعمل** ؛ وهو : رؤية العمل من نفسه ، لا من حيث مِنَّة الله تعالىٰ ، وهو مُحبِطٌ أو مُنقصٌ ، والمنُّ بالصدقة وهو محبطٌ لها .

❁ ❁ ❁

فَصْلٌ

ومن الصغائر : النظر إلىٰ حرامٍ أو استماعه إلَّا للشهادة ، أو لإزالته ، أو إكراهٍ ؛ ولزمته المفارقة إن قدر .

والاطلاع علىٰ بيت مسلم ، وهجره فوق ثلاثٍ إلَّا لعذرٍ شرعيٍّ ، ومجالسة الفاسق للأُنس

وتخطِّي رقاب الناس ، واستقبال القبلة أو استدبارها ببولٍ أو غائطٍ في غير مُعَدٍّ بغير ساترٍ ، والاستمناء بغير يد حليلته ، ومسّ الأجنبية والخلوة بها ، ونظر امرأةٍ وغيرها بشهوةٍ إلَّا لحليلة .

وسفر المرأة بغير زوجٍ أو مَحْرَمٍ أو نسوةٍ ثقاتٍ ، وبيع المَعِيب بلا بيان عيبه ، وغش المسلم وخيانته ، وكشف العورة ولو في خلوةٍ لغير حاجة ، ونظرها من غير حليلته .

وتسويد الشيب والحناء للرَّجُل بغير حاجةٍ إلَّا الشَّعَر ، ولبسه الذهب واستعماله ، ولبسه الحرير أو ما أكثره منه بلا عذرٍ ، وتشبه الرَّجُل بالنساء وعكسه ، والسؤال لغنيٍّ بمالٍ أو حرفةٍ .

والحقد ؛ وهو : إضمار السوء للمسلم ، وظن السوء به إذا لم يكرههما من نفسه ، واللهو بالرباب والطَّنْبور والمزمار واستماعها .

❁ ❁ ❁

فَصْلٌ

وأمَّا المكروهات .. فكثيرةٌ :

فمنها : المُماراة وكثرة الخصومة من المُحِق ، وكثرة المزاح ، و**كثرة الكلام بما لا يعني** ؛ وهو : ما لا يحصل به نفعٌ ولا بتركه ضررٌ إلَّا لنحو إيناسِ زوجةٍ أو ضيفٍ أو مسلمٍ بقدر الحاجة ، والسمر بعد العشاء إلَّا لذلك أو في خيرٍ .

وكثرة الضحك وهو مما يميت القلب ، وإدخال المجنون والطفل مما يخاف تقذيرهم المسجد ، وكذا من أكل كريه الرِّيح ، وقيل : يحرم .

وكثرة الشبع ودوام التوسع في الأطعمة ، وتطويل البناء بلا عذرٍ ، والفكر في النساء ، والكلام بشهوةٍ حال الجماع ، ونظر فَرْجِ الحلال .

وصلاة الرَّجُل منفرداً ، وهو شديدٌ يدل علىٰ حمقٍ جليٍّ أو كفرٍ خفيٍّ ، نسأل الله العافية .

ومنه : ارتكاب الشبهة في فعلٍ أو قولٍ .

❁ ❁ ❁

خَاتِمَة

قد علمتَ ممَّا تقدَّم أن التقوىٰ مُلازَمَةُ ما أمر الشرع أو نهىٰ عنه ؛ **وهي خمسةٌ** :

الواجب ؛ وهو : ما فرضه الشرع ، وفاعله مأجورٌ ، وتاركه آثمٌ .

والمندوب ؛ وهو : ما أمر به ولم يوجبه ، وفاعله مأجورٌ ، وتاركه مضيعٌ غير آثمٍ .

والحرام : ما نهىٰ عنه لزوماً ، وفاعله آثمٌ متعرِّضٌ للعقوبة .

والمكروه : ما نهىٰ عنه لا لزوماً ، وفاعله متعرِّضٌ للوم لا عقوبة فيه ، ومن ترك الحرام والمكروه لله .. أُجِر .

والمباح : ما لا ثواب ولا عقاب في فعله ولا في تركه ، نعم ؛ فعله للتقوِّي علىٰ طاعة الله إن أعان عليها حسنةٌ ، والتوسع فيه للشهوات

تضييعٌ للزمن واستئناسٌ بالعدم ، وهو طريقٌ لركوب البلايا .

❋ ❋ ❋

ومَنْ أطاع الله .. فقد نجا قطعاً ، ومن عصى الله بإنكار وحدانيته أو كمال وصفه ، أو بعثة الأنبياء أو كتبهم أو شيءٍ من القرآن من المتواتر ، أو البعث بعد الموت ، أو إنكار أحكام الشرع المُجمَع عليها وهو عالمٌ ، أو استهان بما عظَّمه الله تعالىٰ قطعاً ؛ كالنَّبيِّ والمصحف .. فهو كافرٌ حلالُ الدم مخلَّدٌ في النار إن لم يتب .

ومن عصى الله بالكبائر أو الإصرار على الصغائر .. فهو فاسقٌ لا تُقبل شهادته ، مُتعرِّضٌ للعقوبة إن لم يتب ولم يعفُ الله عنه ، أو بغير ذلك .. فأمره إلى الله ويُرجىٰ له العفو .

❁ ❁ ❁

فَصْلٌ

من تهاون بالأدب .. عُوقب بحرمان السُّنن ، أو بالسُّنن .. عُوقب بحرمان الفرائض ، أو بالفرائض .. عُوقب بحرمان الإيمان ، والأعمال بخواتيهما .

ومن أدمن على المعاصي وأصر عليها .. يُخشىٰ عليه سوء الخاتمة ؛ وهو الموت على الكفر ، نعوذ بالله من ذلك ، ونسأله العافية من كل بليَّة .

وارتكاب المكروه يجرُّ إلى الحرام ، والقول الفصل للسلامة من كل مكروهٍ أن ينظر : فما يُحبُّ أن يكون حاله عند الموت .. يستقيم عليه ، ويأتي إلى الناس ما يُحبُّ أن يُؤتىٰ إليه .

❁ ❁ ❁

فَصْلٌ

قال الله تعالىٰ : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ .

فَاعْلَمْ : أن التزكية التطهيرُ من الخبائث ظاهراً وباطناً ؛ وهو التقوى الكاملة ، والتَّدْسِيَة ضده ، والنفس بطبعها الفاسد ، وحبها للعاجل ، وإغواء الشيطان لها .. محبةٌ للعاجلة ، مائلةٌ إليها ، غير ملتفتةٍ إلى العاقبة ؛ فالموفَّق من زمَّها بزمام العلوم النافعة ، وكلَّفها العمل بها ، والنظر والعمل في ذلك طويلٌ إلَّا أنه بالنظر إلى الآخرة قليلٌ ، ولا تستطيع ذلك إلَّا بالصبر .

والصبر علىٰ أداء الفرائض وترك المحارم فرضٌ ، وعلى النوافل نفلٌ ، وفي المصائب والآلام بترك الجزع والشكوىٰ من الله فرضٌ ، وما زاد نفلٌ ، وعلى الأذىٰ بترك الانتصاف نفلٌ له فضلٌ كثيرٌ ، وعمَّا زاد عليه فرضٌ .

وشُكرُ اللهِ .. بأنَّ كلَّ نعمةٍ منهُ فرضٌ ، واستحضارُ ذلك بالقلب في كل حال أصلٌ عظيمٌ في الدِّين ، وشكره بالقول أصله فرضٌ ؛ وهو :

الثناء عليه بجميل فعله ، ومنه قوله : (الحمد لله) ، وشكره بالفعل فعل الطاعات ففرضه فرضٌ ، ونفله سنةٌ .

والرضا بقضاء الله بالسكوت عن الاعتراض على الأقدار فرضٌ ، وبقطع معارضات النفس وطبعها واضطرابها فضيلةٌ ، وبَرْدُ القلب مع ذلك أفضل .

وما كان من ذلك من معصيةٍ أو مكروهٍ أو ترك فرضٍ جرىٰ باختيار العبد .. فيرضىٰ به من حيث إنه تقدير الله تعالىٰ ، ويكرهه من حيث يكرهه الله تعالىٰ ونهىٰ عنه ، ويتعب عليه من حيث إنه مخالفةٌ لأمر الله تعالىٰ وموجبٌ لعقابه .

والصبر والشكر ركنان في الدِّين لا يخلو منهما شيءٌ منه ؛ فلا فِعلَ طاعةٍ ولا ترك مخالفةٍ ولا مصاحبة حالٍ إلَّا بالصبر .

ومن استعان بالله حقًا .. أعانه ، ومن توكل عليه .. كفاه ، ومن نسى الله .. أنساه نفسه ، كما نُصَّ عليه .

❁ ❁ ❁

فَصْلٌ

لا بد للعبد في كل أحواله من ثلاثة أشياءٍ بها نظام الدِّين :

الأول : النية ، فلا يفعل ولا يترك إلَّا لله وحده مخلصًا صادقًا . ويبقىٰ علىٰ ذلك إلىٰ فراغ العمل ، وينوي بالمباح التعفُّف والتحصُّن

عن المكاره له ولذويه ، وأداء الحقوق ، والتقوي علىٰ طاعة ، وجبر الخاطر ونحو ذلك ، ولا تؤثِّر النية في المعاصي شيئًا .

الثاني : الفكر في عجائب صنع الله في ملكه وملكوته ؛ من أملاكٍ وأفلاكٍ ، وأنوارٍ وظلماتٍ ، وحيوانٍ ونباتٍ وجمادٍ ممَّا يعلمه وما لا يعلمه أكثر وأكبر ، وما تضمنت أجزاء ذلك من دقائق الحِكَم والكمالات ؛ فلا نَقْصَ في ذرَّةٍ من ذلك مع اتساعه وكثرته ، وتعدد أجناسه وأنواعه ، مع التدبير لدقيق ذلك وجليله في كل لحظة ممَّا يدلك علىٰ أنه العليم القدير ، وأنه ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير .

وهذا بحرٌ تنقطع دون طرفه الأعمار ؛ **وهو باب المعرفة فالزمه بالفكر الصافي** تجده المشرب الشافي .

وكذلك تفكَّر في قُرب الأجل وأنَّه غير معلومٍ بل يأتي بغتةً لا في سِنٍّ مخصوصٍ ، ولا ينفع معه الندم ، وأنَّه وإن طال العمر ؛ فكل ساعةٍ محسوبةٌ له أو عليه ، فإمَّا بطاعةٍ .. فله ، أو غيرها .. فندامةٌ لا تنقطع ، فكم مِن امرىءٍ نال أمله من الدنيا فلم يُغنِ عنه شيئًا لمَّا مات ؟!

الثالث : ألَّا يأخذ من الدنيا فوق ما يكفيه ؛ له ولمن عليه مؤونته : من نفقةٍ وكُسوةٍ ومَسكَنٍ بقدر الحاجة والقنوع ؛ فإنَّ من أخذ فوق ما يكفيه .. أخذ حتفه وهو لا يشعر .

ومن عرف الموت - وأنَّه باب الآخرة ، وأنَّ كثرة الدنيا ضارةٌ ؛ فإنَّ حلالها حسابٌ وحرامها عقابٌ - .. سَهُل عليه ذلك ، واكتفى منها بزاد الراكب ، فيزهد إنْ قَدر ، وإلَّا .. فليقنع ، وإلَّا .. فليُصابر .

فالزهد : عزوف النفس عن الدنيا إلَّا ما يحتاج إليه للضرورة .

والقناعة : السكون علىٰ ما قسم له من غير تطلُّع إلىٰ غيره وإن لم يكرهه .

والمصابرة : إلزام النَّفْس ذلك مع الكراهة ، وكل ذلك حسنٌ ، ولكلٍّ درجاتٌ ممَّا عملوا .

❁ ❁ ❁

فَصْلٌ

ومن أصول القُربات في دين الله تعالىٰ صلاة النوافل ، وصوم التطوع ، وقراءة القرآن ، وتعلُّم العلوم النافعة وتعليم ذلك ، وذكر الله تعالىٰ وهو جامعها ؛ فإنّ كل مطيعٍ ذاكرٌ ، ولم تُشرع الأوامر إلَّا للذِّكْر ، وكذا الدعاء سيَّما في مظانِّ الإجابة من الأزمنة والأمكنة والأحوال .

ومنها : صدقة التطوُّع ، وهي بما قلَّ ، وهي في الأزمنة الفاضلة ، وللقريب والجار والمحتاج والصلحاء أفضل .

❁ ❁ ❁

فَصْلٌ

والصلاة خير موضوعٍ، لا تَحْرُم إلَّا عند الاستواء في غير الجمعة، وبعد صلاة الصبح حتىٰ ترتفع الشمس قِيدَ رُمْحٍ، وبعد صلاة العصر حتىٰ تغرب إلَّا ما لها سببٌ غير متأخرٍ، وكذا إذا صعد الخطيب إلَّا التحية.

وآكدها: صلاة العيدين، والكسوفين، والاستسقاء، ويغتسل ويتنظف لهنَّ، ويتزين للعيدين، ووقتها من الطلوع - وبعد الارتفاع أحب - إلى الزوال.

وكلهنَّ ركعتان؛ لكن **يُسنُّ** أن يزيد في الخسوفين في كل ركعةٍ قياماً بعد الركوع يقرأ فيه، ثم يركع ثم يعتدل، وأنْ يطوِّل جداً قراءتها، وتسبيح الركوع والسجود، والأول فالأول أطول، وأن يزيد في العيدين والاستسقاء تكبيراً سبعاً في الأولىٰ قبل القراءة، وخمساً في الثانية يذكر الله بينها، ويجهر إلَّا في كسوف الشمس.

ثم الوتر بعد صلاة العشاء إلى الفجر، أقله ركعةٌ، وأدنى الكمال ثلاثٌ، وأكثره إحدىٰ عشرة.

والتراويح عشرون، والضحىٰ من ركعتين إلىٰ ثمانٍ بعد ارتفاع الشمس إلى الاستواء.

ورواتب الفرائض ركعتان قبل الصبح، وأربعٌ قبل الظهر وأربعٌ

بعده ، وأربعٌ قبل العصر ، وركعتان قبل المغرب وركعتان بعده ، وكذا العشاء ، وتحية المسجد ركعتان ، وقيام الليل بما اتفق ولو بالذِّكْر والدعاء والاستغفار ، وإحياء ما بين العشاءين بصلاةٍ ، وإلَّا .. فبعبادة .

❁ ❁ ❁

فَصْلٌ

ويتأكد صوم يوم عرفة ، وعاشوراء وتاسوعاء ، وثلاثة أيامٍ من كل شهرٍ ، والبِيض أحب ، وست شوّالٍ ، وكثرة الصوم في الأشهر الحُرُم ...) .

ثم قال في آخره : (وقد رأيتُ أن أختم الكتاب **بثلاث قواعد هي أصول الطريق إلى الله تعالىٰ** :

الأولى : ألَّا يأكل إلَّا بقدر ما يحفظ العقل والقوة ، ولا ينام إلَّا عند الغلبة ، ولا يتكلم إلَّا في ضرورة أو حاجةٍ ، ولا يُجالس الناس إلَّا لما لا بدَّ منه أو في فائدةٍ شرعيةٍ .

الثانية : مخالفة النفس في كل حظٍّ إلَّا ما لا بدّ منه ، أو ندب الشرع إليه ، ودوام الذكر ، وحضور القلب مع الله فيه .

الثالثة : خروجه من حظوظه وإرادته إلىٰ مطلوب الله منه في الأفعال ، وتسليمه له في المقادير ، والتفويض إليه في تدبير أموره إلَّا

فيما أمره به من كسبٍ أو عمل بما اقتضاه حاله في السلوك ، ومن كان الله له .. كفاه ، وكفىٰ بالله حسيباً) .

انتهىٰ ما يسَّر الله نقله من كتاب « الموجز المبين » للشيخ عبد الله بن محمد باقشير الحضرمي مع اختصارٍ ، بعضه بلفظه وبعضه بمعناه ، وقد أزيد كلماتٍ نادراً ؛ لزيادة إيضاحٍ أو فائدةٍ .

❁ ❁ ❁

فَصْلٌ

وممَّا ينبغي الاعتناء به والمحافظة عليه مِنْ كل أحدٍ الأذكارُ الواردةُ عنه صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم في الأوقات ؛ مثل : الصباح والمساء ، والمقيدة بالأسباب ؛ كالواردة عند الأكل والشرب ، والنوم والاستيقاظ ، وقبل الصلاة وفيها وبعدها ، والخروج والدخول للمسجد والبيت والخلاء وغير ذلك ، وكذا المُطْلَقة ؛ كالجوامع الكوامل ممَّا يطولُ ذِكْرُه ، فليأخذ الإنسان من ذلك ما يُطيق المداومة عليه مع الإحسان ؛ فإنها حارستٌ وحافظةٌ له من كل مكروهٍ ، فمن أهمل ذلك ثمَّ أصابه مكروهٌ .. فلا يلومنَّ إلَّا نفسه .

❁ ❁ ❁

فَصْلٌ

ننقل شيئاً ممَّا قاله الإمام الغزالي من « بداية الهداية » مع حذفٍ

واختصار بعضه بلفظه وبعضه بمعناه ؛ وقد أزيد كلماتٍ لفائدةٍ أو لزيادةِ إيضاحٍ ، ولنفصِّله فصولاً خوف الملل :

❁ ❁ ❁

فَصْلٌ

قال رضي الله تعالىٰ عنه ونفعنا به : (**أمَّا بعدُ :**

فاعلم - أيها الحريص علىٰ طلب العلم ، المُظهِر من نفسك صدقَ الرغبة وفَرْطَ التعطش ، وكذا يُقال لقارىء القرآن ، وقاصد الحج ، وللمصلي وللمتصدِّق والمعلِّم والمذكِّر ولكل متقرِّب بشيءٍ من القُرَب - : إنك إن كنت تقصد بطلب العلم أو بشيءٍ من هٰذه القُرَب المنافسةَ والمباهاةَ ، والتّقدُّمَ على الأقران ، واستمالةَ وجوه الناس إليك ، وجمع حُطام الدنيا ... فأنت ساعٍ في هدم دينك ، وإهلاك نفسك وبيع آخرتك بدنياك .

فصفقتك خاسرةٌ ، وتجارتك بائرةٌ ، ومُعلِّمُكَ معينٌ لك علىٰ عصيانك ، وشريكٌ لك في خُسرانك ، وهو كبائع سيفٍ من قاطع طريقٍ ، ومن أعان علىٰ معصيةٍ ولو بشَطْرِ كلمةٍ .. كان شريكًا فيها .

وإن كانت نيتك وقصدك فيما بينك وبين الله تعالىٰ مِنْ تعلُّم العِلْمِ الهدايةَ دون مجرَّد الرواية فأبشر ؛ فإنَّ الملائكة تبسط لك أجنحتها إذا مشيتَ ، وحِيتَان البحر تستغفر لك إذا سعيتَ .

❁ ❁ ❁

فَصْلٌ

فإن قلتَ : فما بداية الهداية لأجرِّب نفسي وأمتحن بها قلبي ؟

فَاعْلَمْ : أن بدايتها ظاهر التقوىٰ ، ونهايتها باطن التقوىٰ ، ولا عاقبة إلَّا للتقوىٰ ولا هدىً إلَّا للمتقين .

والتقوىٰ : عبارةٌ عن امتثال أوامر الله ، واجتناب نواهيه ، ولا وصول إلىٰ نهايتها إلَّا بعد إحكام بدايتها ، ولا عثور علىٰ باطنها إلَّا بعد الوقوف علىٰ ظاهرها .

فإن صادفت قلبك إليها مائلاً ، ونفسك لها مطاوعة ولها قابلة .. فدونك والتطلُّعَ إلى النهايات ، والتغلغلَ في بحار العلوم .

وإنْ صادفتَ قلبك عند مواجهتِكَ إياها مُسوِّفًا ، وبالعمل بمقتضاها مماطلاً .. فاعلم أن نفسك المائلة إلىٰ طلب العلم هي النفس الأمَّارة بالسوء ، وقدِ انتهضتْ مطيعةً للشيطان اللَّعين ، فإياك يا مسكين أن تذعن لتزويره ، وتتدلَّىٰ بحبل غروره) .

* * *

ثمَّ قال رضي الله عنه في آخر « البداية » :

(فهي جامعةٌ لجُمَلِ معاملة العبد مع الخلق والخالق ؛ فإنْ رأيتها مناسبةً لنفسك ، ورأيتَ قلبك مائلاً إليها ، راغبًا في العمل بها .. فاعلم أنك عبدٌ نوَّرَ الله تعالىٰ بالإيمان قلبكَ ، وشرح به صدركَ ،

وتحقَّق أنَّ لهٰذه البداية نهايةً ، ووراءَها أسرارٌ وعُلومٌ ومُكاشفاتٌ .

وإن رأيتَ نفسكَ تَسْتَثْقِلُ العمل بهٰذه الوظائف ، وتَتركُ هٰذا الفنَّ من العلم .. فاعلم أنَّ الشيطان قد أغواك وأنساك مُنقلبك ومثواك) .

❁ ❁ ❁

فَصْلٌ

اِعْلَمْ : أنَّ أوامر الله فرائضُ ونوافلُ .

فالفرض : رأس المال ، وبه أصل التجارة ، **والنفل** : هو الرِّبح ، وبه الفوز بالدَّرجات .

قال صلّى الله عليه وآله وسلّم : « قال الله تعالىٰ : ما تقرَّب المُتقرِّبون إليَّ بمثل أداء ما افترضتُ عليهم ، فلا يزال العبد يتقرَّبُ إليَّ بالنوافل حتى أُحِبَّهُ ... » الحديث .

ولن تصل أيها الطالب إلى القيام بأوامر الله تعالىٰ .. إلَّا بمراقبة قلبك وجوارحك في لحظاتك وأنفاسك ، وسكناتك وحركاتك ، وتُوزِّع أوقاتك ، وترتب أورادك من حين تصبح إلىٰ حين تمسي .

وتَعْلَمَ بأنَّ الله مُطَّلِعٌ علىٰ ضميرك ، ومُشْرفٌ علىٰ ظاهرك وباطنك ، فاجتهد ألا يراك مولاك حيث نهاك ، ولا يفقدك حيث أمرك .

❁ ❁ ❁

فَصْلٌ

فما فَضَلَ مِنْ أوقاتك - يعني : بعد الفرائض والرواتب ، والحزب القرآني والأوراد - .. فلكَ فيه أربعُ حالاتٍ :

الأولىٰ - وهي أفضلها - : أن تصرفه في طلب العلم النافع في الدين ؛ وهو الذي يزيد في خوفك من الله تعالىٰ ، ويزيد في بصيرتك بعيوب نفسك ، وفي معرفتك بعبادة ربك ، ويُقلِّل من رغبتك في الدنيا ، ويزيد في رغبتك في الآخرة ، ويفتح بصيرتك بآفات أعمالك حتىٰ تحترز منها ، ويُطلعك علىٰ مكايد الشيطان وغروره ؛ وهذا العلم قد جمعناه في « إحياء علوم الدين » ، فإن كنتَ من أهله .. فحصِّله واعمل به ، ثمَّ علِّمه وادعُ إليه .

الحالة الثانية : ألَّا تقدر علىٰ تحصيل العلم النافع واشتغلت بوظائف العبادات ؛ مِن الذِّكْر والقراءة ، والتسبيحات والصلوات ، فذلك من درجات العابدين ، وسِيَر الصالحين ، وتكون بذلك أيضاً من الفائزين .

الحالة الثالثة : أن تشتغل بما يصل منه خيرٌ إلى المسلمين ، أو تدخل به السرور علىٰ قلوب المؤمنين ، أو تتيسر به الأعمال الصالحة للصالحين ؛ كخدمة الفقهاء والصوفية وأهل الدِّين ، والتردُّد في أشغالهم ، والسعي في إطعام الفقراء والمساكين ، والتردُّد على المرضىٰ بالعيادة ، وعلى الجنائز بالتشييع ؛ فكلُّ ذلك أفضلُ

مِـنَ النوافـل لأنهـا عبـادةٌ وفيهـا رفـقٌ بالمسـلمين .

الحالـة الرابعـة : ألّا تقـوىٰ علـىٰ شـيءٍ مـن ذٰلـك ، واشـتغلتَ بحاجاتـك اكتسـابـًا علـىٰ نفسـك وعلـىٰ عيالـك ، وقـد سَـلِمَ المسـلمون منكَ وأمِنُوا مـن لسـانك ويـدك ، وسَـلِمَ لـك دينُك ؛ فهٰذه أقل الدرجات في مقامـات الدِّيـن ، ومـا بعـد هٰذا إلَّا مَراتِـعُ الشـياطين ؛ وذٰلـك أن تشـتغل – والعيـاذ بـالله – بمـا يَهْـدِمُ الدِّيـن ، أو تُـؤذي عبـداً مـن عبـاد الله ؛ فهٰذه رتبـة الهالكيـن ، فاحـذر أن تكـون منهـم .

❁ ❁ ❁

فَصْلٌ

اِعْلَمْ : أنَّ العبد في حقِّ دِينِه له ثلاثُ درجاتٍ :

إمَّا **سالمٌ** : وهو المقتصر علىٰ أداء الفرائض ، وترك المعاصي .

أو **رابحٌ** : وهو المتطوِّع مع ذٰلك بالنوافل أو القربات .

أو **خاسـرٌ** : وهـو المقصِّـر عـن اللـوازم ، أو المرتكـب لبعـض المحـارم .

فـإن لـم تقـدر أن تكـون رابحـًا .. فاجتهـد أن تكـون سـالمـًا ، وإيـاك ثـم إيـاك أن تكـون خاسـراً .

❁ ❁ ❁

والعبد في حق سائر العباد له ثلاث درجات :

الأولى : أن ينزل في حقهم منزلة الكرام البررة من الملائكة ؛ وهو أن يسعىٰ في أغراضهم رفقاً بهم ، وإدخالاً للسرور علىٰ قلوبهم .

الثانية : أن ينزل في حقهم منزلة البهائم والجمادات ، فلا ينالهم خيره ، ولكن يكفُّ عنهم شره .

الثالثة : أن ينزل في حقهم - والعياذ بالله - منزلة العقارب والحيَّات والسِّباع الضاريات ، لا يُرجىٰ خيره ويبقىٰ شره .

فإن لم تقدر أن تلحق بأفق الملائكة ... فاحذر أن تنزل عن درجات البهائم والجمادات إلىٰ مراتب العقارب والحيَّات والسِّباع الضَّاريات .

فإنْ رضيتَ لنفسك النزول من أعلىٰ عليين .. فلا ترضىٰ لها بالهُوِي إلىٰ أسفل السافلين ؛ فلعلك أن تنجو كفافاً لا لك ولا عليك .

فعليك في بياض نهارك ألَّا تشتغل إلَّا بما ينفعك في معادك .

فإنْ عجزتَ عن القيام بحق دِينك مع مُخالطة الناس وكنت لا تسلم إلَّا بالعزلة .. فالعزلة أولىٰ لك ، فعليك بها ؛ ففيها السلامة .

فَصْلٌ

لا ينبغي أن تكون أوقاتك مهملة ، فتشتغل في كل وقتٍ بما اتفق كيف اتفق ، بل ينبغي أن تُحاسب نفسك ، وتُرتِّب وظائفك في ليلك ونهارك ، وتُعيِّن لكلِّ وقتٍ شغلاً لا تتعداه وتُؤثر فيه سواه ، فبذلك تظهر بركة الأوقات .

فأمَّا من ترك نفسه سدىً مُهمَلاً إهمال البهائم ، لا يدري بماذا يشتغل في كلِّ وقتٍ .. فتنقضي أوقاته ضائعة .

وأوقاتُكَ عمرك ، وعمرك رأس مالك ، وعليه تجارتك ، وبه وصولك إلىٰ نعيم الأبد في جوار الله تعالىٰ ، فكلُّ نَفَسٍ من أنفاسك جوهرةٌ لا قيمة لها ؛ إذ لا بدل له ، وإذا فات .. فلا عود له .

فلا تكن كالحمقى المغرورين الذين يفرحون بزيادة أموالهم مع نقصان أعمارهم ، فأيُّ خيرٍ في مالٍ يزيد وعُمرٍ ينقصُ ؟!

فلا تفرح إلَّا بزيادة علمٍ أو عمل صالحٍ ؛ فإنهما رفيقاك يصحبانك في القبر حيث يتخلَّف عنك أهلك ومالك وولدك وأصدقاؤك .

❁ ❁ ❁

فَصْلٌ

اِعْلَمْ : أنَّ النوم مثل الموت ، واليقظةَ مثل البعث ، وأنَّ الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ، فلا يكن نومك بالليل والنهار أكثرَ من

ثمان ساعات ، فيكفيك إن عشت ستين أن يضيع منها عشرون سنة إلَّا أن تكون يقظتك وبالاً عليك فلا بأس ؛ فقد جاء في أثرٍ أو خبرٍ : « يأتي على الناس زمانٌ أحسن ما يجدون في صحائفهم الصمت والنوم »[1] .

ثم قال رضي الله عنه بعد أن رتَّب لك الأعمال من الاستيقاظ إلى المنام : **وداوِمْ** علىٰ هٰذا الترتيب عمرك ، **وإن شقّ عليك** .. فاصبر صبر المريض علىٰ مرارة الدواء انتظاراً للشفاء ، **وتفكَّر** في قصر عمرك ، وإن عشت مثلاً مئةَ سنةٍ .. فهي قليلةٌ بالإضافة إلىٰ مقامك في الدار الآخرة وهي أبد الأبد .

وتأمَّل أنك كيف تتحمل الذُّلَّ والمشقة في طلب الدنيا شهراً أو سنةً ؛ رجاء أن تستريح بها عشرين سنة ، فكيف لا تتحمل ذلك أياماً قلائل رجاء الاستراحة أبد الآباد ؟!

ولا تُطوِّلْ أملَكَ فيثقُلَ عليك عملُكَ ، وقَدِّرْ قُرْبَ الموتِ ؛ فإنَّه لا يهجم في وقتٍ مخصوصٍ وسِنٍّ مخصوصٍ ، ولا بد من هجومه ؛ فالاستعداد له أولىٰ ، ولعلَّه لم يبق من عمرك إلَّا نَفَسٌ واحدٌ ، أو يومٌ واحدٌ ، فكلِّف نفسك الصبر علىٰ طاعة الله ؛ فإنك إنْ فعلتَ ذلك .. فرحت عند الموت فرحاً لا آخِرَ له ، وإن سَوَّفْتَ وتساهلْتَ .. جاءك الموت في وقتٍ لا تحتسبُهُ ، وتحسَّرتَ تحسُّراً لا آخِرَ له .

---

(١) قوت القلوب (١/ ٩٦) ، الإحياء (٢/ ٤٨٩) .

وعند الصباح يَحْمَدُ القومُ السُّرَىٰ ، وعند الموت يأتيك الخبر اليقين ، ولتعلمنَّ نبأه بعد حين .

❁ ❁ ❁

فَصْلٌ

أحضِر قلبك ، وفرِّغه من الوسواس ، وانظر بين يدي مَنْ تقوم ومَنْ تُناجي ، واستحِ أن تناجيَ مولاك بقلبٍ غافلٍ وصدرٍ مشحونٍ بوساوس الدنيا و خبائث الشهوات .

وَٱعْلَمْ : أنَّ الله مطَّلعٌ علىٰ سريرتك وناظرٌ إلىٰ قلبك ، وإنما يتقبَّل الله مِنْ صلاتك بِقَدْرِ خُشوعكَ وتواضعكَ وخُضوعكَ وتَضرُّعكَ .

واعبده في صلاتك كأنَّك تراه ؛ فإن لم تكن تراه .. فإنه يراك ؛ فليس لك من صلاتك إلَّا ما عَقَلْتَ منها .

وأمَّا ما أتيتَ به مع الغفلة .. فهو إلى الاستغفار والتكفير أحوج .

❁ ❁ ❁

فَصْلٌ

اِعْلَمْ : أن الدِّين شطران :

أحدهما : فعل الطاعات ، **والآخر** : ترك المناهي ، وهو الأشدُّ .

فالطاعات يَقْدِر عليها كلُّ أحدٍ ، وترك الشهوات لا يقدر عليها

إلَّا الصديقون ؛ فلذلك قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : « **الْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ السُّوءَ ، وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ هَوَاهُ** »[1] .

***

وَٱعْلَمْ : أنك إنما تعصي الله بجوارحك ، وهي نعمةٌ من نِعَمِ الله تعالىٰ عليك وأمانةٌ لديك ، فاستعانتك بنعمة الله تعالىٰ علىٰ

---

(١) قال الحافظ العراقي في « المغني » : (أخرجه ابن ماجه بالشطر الأول ، والنسائي في « الكبرى » بالشطر الثاني ، كلاهما من حديث فضالة بن عبيد الله بإسنادين جيدين ، وأخرجه الطبراني والحاكم وصححه [ولفظه] : « **ألا أخبركم بالمؤمن ؟ من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم ، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله ، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب** » ، ورواه ابن ماجه مقتصراً على **المؤمن والمهاجر** ، وللحاكم من حديث أنس ، وقال : على شرط مسلم ، « **والمهاجر من هجر السوء** » ، ولأحمد بإسناد صحيح من حديث عمرو بن عبسة ، قال رجل : يا رسول الله ، ما الإسلام ؟ قال : « **أَنْ يُسْلِمَ قَلْبُكَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَنْ يَسْلَمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِكَ وَيَدِكَ** ») . اهـ

قال الحافظ الزبيدي في « الإتحاف » (٦/ ٢٥٣) : (حديث فضالة بن عبيد رواه الحاكم من حديث أنس أيضاً ، وحديث عمرو بن عبسة رواه أحمد من حديث معاذ أيضاً ، ورواه الطبرانى أيضاً من حديث بلال بن الحارث وابن عمر وأبي أمامة وواثلة بن الأسقع مختصراً ، ورواه أحمد أيضاً والترمذى والنسائى والحاكم أيضاً من حديث أبى هريرة : « **المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أمّنه الناس على دمائهم وأموالهم** » ، زاد الحاكم وحده : « **والمجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله ، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب** » ، وفي حديث أبي ذر الطويل في « الحلية » قال : قلت : يا رسول الله ، فأي الهجرة أفضل ، قال : « **من هجر السيئات** » ، وروى الطبراني من حديث ابن عمرو : « **وأفضل المهاجرين من هجر ما نهى الله عنه ، وأفضل الجهاد من جاهد نفسه في ذات الله عز وجل** ») . اهـ

وفي صحيح البخاري وغيره بمعناه (٦٤٨٤) ، ولفظه : « **المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ** » .

معصيته غاية الكُفْرانِ ، وخيانتك في أمانةٍ أودعكها الله غاية الطغيان ، وأعضاؤك رعاياك ، فانظر كيف ترعاها ؛ فكلكم راعٍ وكلكم مسؤولٌ عن رعيته .

❁ ❁ ❁

وَٱعْلَمْ : أنَّ جميع أعضائك تشهد عليك في عَرَصاتِ القيامة بلسانٍ طَلْقٍ ذَلْقٍ ، تفضحك علىٰ ملأٍ مِنَ الخَلْق ، قال الله تعالىٰ : ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ .

فاحفظ يا مسكين جميع أعضائك عن المعاصي خصوصاً أعضاءك السبعة ؛ فإنَّ جهنمَ لها سبعةُ أبوابٍ ، لكلِّ بابٍ منهم جُزءٌ مقسومٌ ، ولا يتعيَّن لتلك الأبواب إلَّا من عصى الله تعالىٰ بهٰذه الأعضاء السبعة ؛ وهي : الأذن ، والعين ، واللسان ، والبطن ، والفَرْج ، واليد ، والرِّجْل .

❁ ❁ ❁

فَصْلٌ

أمَّا العين .. فإنها خُلقتْ لك لتهتديَ بها في الظلمات ، وتستعينَ بها في الحاجات ، وتنظرَ بها إلىٰ عجائب ملكوت الأرض والسماوات ، وتعتبرَ بما فيهنَّ من الآيات ، فاحفظ عن أن تنظر إلىٰ غير مَحْرَمٍ

أو إلىٰ صورةٍ مليحةٍ بشهوة نفسٍ ، أو إلىٰ مسلمٍ بعين الاحتقار ، أو تطَّلِعَ بها إلىٰ عيب مسلمٍ .

❁ ❁ ❁

فَصْلٌ

وأمَّا الأذن .. فاحفظها مِنْ أنْ تُصغي بها إلى البدعة أو الغِيبة ، أو إلى الفحش أو إلى الخوض في الباطل ، أو ذكر مساوىء الناس ؛ وإنَّما خُلقتْ لكَ لتسمعَ بها كلامَ الله تعالىٰ ، وسُنَّةَ رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وحكمة أوليائه ، وتتوصل باستفادة العلم بها إلى المُلْكِ المقيم والنعيم الدائم .

فإذا أصغيت إلى المكاره .. صار ما كان لك عليك ، وانقلب ما كان سببَ فوزك سببَ هلاكك ، وهٰذا غاية الخسران .

ولا تظُنَّنَّ أنَّ الإثم يختصُّ به القائلُ دون المستمعِ ؛ ففي الخبر : « **إنَّ الْمُسْتَمِعَ شَرِيكُ الْقَائِلِ ، وَإِنَّ الْمُسْتَمِعَ أَحَدُ الْمُغْتَابَيْنِ** »[1] .

❁ ❁ ❁

(١) رواه بمعناه الطبراني في « الكبير » (١٤١٣٦) من حديث ابن عمر : « **نهَى رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسلم عَن الْغَيْبَة وَعَن الِاسْتِمَاع إِلَى الْغَيْبَة** » ، ورواه أيضاً أبو نعيم في « الحلية » (٤/ ٩٣) ، والخطيب في « تاريخ بغداد » (٨/ ٢٢١) ، وزادا : « **نهى عن الغناء والاستماع الى الغناء ، وعن النميمة والاستماع الى النميمة** » .

فَصْلٌ

وأمَّا اللسان .. فإنما خُلق لك لتُكثرَ به ذِكر الله تعالىٰ ، وتلاوة كتابه العزيز ، وترشد به خلق الله إلىٰ طريقه ، وتظهر به ما في ضميرك وحاجات دينك ودنياك .

فإذا استعملته في غير ما خُلِق له .. فقد كَفَرتَ نعمة الله فيه ، وهو أغلب أعضائك عليك وعلىٰ سائر الخلق ، ولا يَكُبُّ الناسَ في النار علىٰ مناخرهم إلَّا حصائدُ ألسنتهم ، فاستظهر عليه بغاية قُوَّتك حتى لا يكُبَّكَ في قَعْرِ جهنم ؛ ففي الخبر : « **إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لِيُضْحِكَ بِهَا أَصْحَابَهُ فَيَهْوِيْ بِهَا فِي جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفًا** »[1] .

فاحفظه من الكذب في الجدِّ والهزل ؛ فالكذب من أمهات الكبائر ، ومن الخُلْفِ في الوعد ، فإياك أن تَعِدَ بشيءٍ إلَّا وتفي به ، ومن الغيبة ؛ فالغيبة أشد من ثلاثٍ وثلاثين زنيةً في الإسلام ؛ كذا جاء في الخبر[2] .

ومعنى الغيبة : أن تذكر إنسانًا بما يكرهه لو سمعه وإن كنت صادقًا .

---

(١) رواية الصحيحين (ب٦٤٧٧ ، م٢٩٨٨) : « **إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا يَزِلُّ بِهَا إِلَى النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ** » .

(٢) وهو حديث : « **إنَّ الدرْهَم يصيبُه الرجلُ مِنَ الرِّبا ؛ أعْظَمُ عند الله في الخطيئةِ مِنْ ستٍّ وثلاثينَ زَنْيَةً يَزْنيها الرجلُ ، إنَّ أرْبى الربا عِرْضُ الرَّجُلِ المسْلِمِ** » ، رواه ابن أبي الدنيا في « ذم الغيبة » (٣٦) ، والبيهقي في « الشعب » (٥١٣٥) .

ويمنعك عن غيبة المسلمين أمرٌ لو تفكرت فيه ؛ وهو أن تنظر في نفسك : هل فيك عيبٌ ظاهرٌ أوباطنٌ ؟

فإن عرفت ذلك منك .. **فاعلم** أن عجزه كعجزك ، وعذره كعذرك ، فإن سترته .. سترك الله ، وإن فضحته .. فضحك الله .

وإن نظرت إلىٰ ظاهرك وباطنك فلم تطلع فيهما علىٰ عيبٍ ونقصٍ .. **فاعلم** أن جهلك بعيوبك أقبح أنواع الحماقة ، ولو أراد الله بك خيراً ... لبصرك بعيوب نفسك .

❋ ❋ ❋

وكذلك احفظ اللسان عن المراء والجدال ومنافسة الناس في الكلام ؛ فذلك فيه إيذاءٌ للمخاطَب وتجهيلٌ ، وفيه تزكية للنفس بمزيد الفطنة والعلم ، قال الله تعالىٰ : ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ .

وكذلك لا تلعن شيئًا من خلق الله ، ولا تقطع بشهادتك علىٰ أحدٍ من أهل القبلة بشركٍ أو كفرٍ أو نفاقٍ ؛ فإنَّ المطلع على السرائر هو الله تعالىٰ .

ولا تدعُ علىٰ أحدٍ من خلق الله ، وإن ظلمك .. فكِلْ أمره إلى الله ؛ ففي الحديث : « **إِنَّ الْمَظْلُومَ لَيَدْعُو عَلَىٰ ظَالِمِهِ حَتَّىٰ يُكَافِئَهُ ، ثُمَّ يَبْقَىٰ لِلظَّالِمِ فَضْلٌ عِنْدَهُ فَيَطْلُبُهُ بِهِ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ** »[1] .

(١) رواه بمعناه الترمذي (٣٥٥٢) عن عائشة رضي الله عنها مرفوعًا : « **مَنْ دَعَا عَلَىٰ مَنْ ظَلَمَهُ**

وطوَّل بعض الناس لسانه على الحَجَّاج ، فقال بعض السلف : (إنَّ اللهَ لينتقِمُ للحَجَّاجِ مِمَّنْ يَعْرِضُ لهُ بلسانِهِ ، كما ينتقِمُ مِنَ الحَجَّاجِ لِمَنْ ظَلَمَهُ)[1] .

وكذلك احفظ لسانك من المِزاح ، والسُّخْرِية ، والاستهزاء بالناس ؛ فإنَّه يُريقُ ماء الوجه ، ويُسقِطُ المهابة ، ويستجرُّ الوَحْشة ، ويُؤذي القلوب ، ويغرِسُ الحِقْد .

فهٰذه مجامع آفات اللسان ، ولا يعينك عليه إلَّا العزلة ، وملازمة الصمت إلَّا بقدر الضرورة ؛ وقد كان الصديق رضي الله عنه يضع حجراً في فِيْهِ ليمنعه ذلك من الكلام بغير ضرورة ، فاحترز منه ؛ فإنَّه أقوىٰ أسباب هلاكك في الدنيا والآخرة .

❁ ❁ ❁

فَقَدِ انْتَصَرَ » ، قال الحافظ الزبيدي : (ورواه كذلك ابن أبي شيبة ، وابن أبي الدنيا في « ذم الغضب » ، وهو مطابق لقوله تعالى : (وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ) ، أي : ابتداء ، أو بالتجاوز عن الحد انتهاء) . اهـ « إتحاف » (٧/ ٤٩١) .

(١) قيل : القائل هو الحسن البصري ، وبنحوه في : « مصنف » ابن أبي شيبة عن ابن سيرين (٣١٢٢٦) ، و« الحُلية » (٢/ ٢٧٠) ، و« رسالة القشيري » (ص٢٨٤) ، و« قوت القلوب » (٢/ ٥٦) ، و« الإحياء » (٨/ ٣٢٤) ، و« الإتحاف » (٢/ ١٨٠) .

فَصْلٌ

وأمَّا البطن .. فاحفظه عن تناول الحرام ، واحرص علىٰ طلب الحلال ، فإذا وجدته .. فاحرص علىٰ أن تَقْتَصِر منه علىٰ ما دون الشِّبَع ؛ فإنَّ الشِّبَع يُقسِّي القلب ويُفْسِد الذِّهن ، ويُبطل الحفظ ويُثقِّل الأعضاء عن العبادة ، ويُقوِّي الشهوات ، والشبع من الحلال مبدأ كلِّ شرّ فكيف من الحرام ؟!

وطلب الحلال فريضةٌ ، والعبادة والعلم مع أكل الحرام كالبناء على السرجين ، وإذا قنعت بقميصٍ ورغيفٍ وتركت التلذُّذ .. لم يُعْوِزْكَ من الحلال ما يكفيك ، فالحلال كثير .

وليس عليكَ أنْ تتيقَّنَ باطن الأمور ، بل عليكَ أنْ تحترز ممَّا تعلم أنَّه حرام ، أو تظُنُّ أنَّه حرامٌ ظنّـًا حَصَلَ مِنْ علامةٍ .

وقد ذكرنا مَداخِلَ الشُّبُهات والحلال والحرام في كتابٍ مُفْردٍ من « الإحياء » فعليكَ بطلبه ؛ فإنَّ معرفة الحلال وطلبه فريضةٌ علىٰ كلِّ مسلمٍ كالصلوات الخَمْس .

❁ ❁ ❁

فَصْلٌ

وأمَّا الفَرْج .. فاحفظه عن كل ما حرَّم الله تعالىٰ ، وكُن كما قال الله تعالىٰ : ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ

أَيْمَنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ .

ولن تصل إلىٰ حفظ الفَرْج إلَّا بحفظ العين عن النَّظر ، وحفظ القلب عن الفِكْر ، وحفظ البطن عن الشُّبَه وعن الشِّبَع ؛ فإنَّ هٰذه هي مُحرِّكاتُ الشهوات أو مَغارِسُها .

❁ ❁ ❁

فَصْلٌ

وأمَّا اليدان .. فاحفظهما من أن تضرب بهما مسلماً ، أو تتناول بهما مالاً حراماً ، أو تُؤذي بهما أحداً أو تَخُونَ بهما في أمانةٍ ، أو تكتب بهما ما لا يجوز النطقُ به ؛ فإنَّ القلمَ أحدُ اللِّسانَينِ .

❁ ❁ ❁

فَصْلٌ

وأمَّا الرِّجْلان .. فاحفظهما عن أن تمشي بهما إلىٰ حرام ، أو تسعىٰ بهما إلىٰ باب سلطانٍ ظالمٍ ، فالمشي إلى السلاطين الظَّلَمة من غير ضرورةٍ وإرهاقٍ .. معصيةٌ ؛ فإنَّه إكرامٌ لهم ، وقد أمر اللهُ بالإعراضِ عنهم .

وهو تكثيرٌ لسوادهم ، وإن كان لطلب ما لهم .. فهو سعيٌ إلىٰ حرامٍ .

وعلى الجُملة : فحركاتُكَ وسكناتُكَ نعمةٌ من نِعَمِ الله تعالىٰ عليك ، فلا تُحَرِّكْ شيئًا منها في معصيةِ اللهِ تعالىٰ أصلاً ، واستعملها في طاعة الله تعالىٰ .

❁ ❁ ❁

فَصْلٌ

اِعْلَمْ : أنك إنْ قَصَّرْتَ .. فعليك يرجعُ وبالُهُ ، وإنْ شَمَّرْتَ .. فإليك تعود ثمرته ، والله تعالىٰ غنيٌّ عنك وعن عملِكَ ، وإنَّما كلُّ نَفْسٍ بما كسبتْ رهينةٌ .

وإيَّاك أن تقول : إن الله تعالىٰ كريمٌ رحيمٌ يغفر ذنوب العُصاة ؛ فإنَّ هٰذه كلمةُ حقٍّ أُريدَ بها باطلٌ ، وصاحبها مُلقَّبٌ بالحماقة بتلقيب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حيث قال : « **الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوتِ ، وَالأَحْمَقُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمنَّى عَلَى اللهِ ، الْأَمَانِي** »[1] وإنْ كان ما وصفتُهُ مِنْ كرم الله تعالىٰ ورحمته حقًا وصدقًا ؛ فإنَّه سبحانه وتعالىٰ يقول : ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ ، ويقول : ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ .

ومن كرمه سبحانه : أن يسَّر لك طريق الوصول إلى المُلك

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٥٩) وقال : حديثٌ حسنٌ ، وابن ماجة (٤٢٦٠) ، وأحمد (١٧١٢٣) ، والطبراني (٧١٤١) ، والبزار (٣٤٨٩) ، والحاكم في « المستدرك » (٧٦٣٩) وقال : حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وصححه الذهبي . وفي كل الروايات (العاجز) بدل (الأحمق) .

المُقيم المُخلد بالصبر علىٰ ترك الشهوات أياماً قلائل ، وهٰذا نهاية الكرم ، فلا تُحدِّثْ نفسك بِتَهْويساتِ البَطَّالين ، واقْتَدِ بأُولي العزم والنُّهىٰ مِنَ الأنبياء والصالحين ، ولا تطمعْ في أنْ تحصُدَ ما لا تزرعْ ، وليتَ مَنْ صام وصلَّىٰ واجتهد واتَّقَىٰ .. غُفِر له .

❁ ❁ ❁

فَصْلٌ

فهٰذه جملةٌ ممَّا ينبغي أن تحفظ عنها جوارحك الظاهرة ، وأعمال الجوارح إنَّما تترشَّح من صفات القلب .

فإنْ أردتَ حفظ الجوارح .. فعليك بتطهير القلب ، فهو التقوى الباطن .

والقلب هو المُضْغَة التي إذا صلَحَتْ .. صلَحَ بها سائرُ الجسد ، وإذا فسَدَتْ .. فسدَ بها سائرُ الجسد ؛ فاشتغلْ بإصلاحه لتصلُحَ جوارحك .

❁ ❁ ❁

وَٱعْلَمْ : أنَّ الصفات المذمومة في القلب كثيرة ، وطريق تطهير القلب مِنْ رذائلها طويلةٌ ، وسبيل العلاج فيها غامضٌ ، وقدِ اندرس بالكُلِّيَّةِ عِلْمُهُ وعملُهُ ؛ لغفلةِ الناس عن أنفسهم واشتغالهم بزخارف الدنيا .

وقد استقصينا ذلك في (ربع المهلكات) و(ربع المنجيات) من « الإحياء » ، ولكن نحذِّرك الآن ثلاثاً مهلكاتٌ في أنفُسِها ، وهي أمهاتٌ لجُمَلٍ من الخبائث سواها ، وهي : (الحسد ، والرياء ، والعُجب) .

فاجتهد في تطهير قلبك منها ، فإنْ قدرتَ عليها .. فتعلَّم كيفية الحذر من بقيتها ، وإنْ عجزتَ عنها .. فأنتَ عَنْ غيرها أعْجَزُ .

ولا تظنَّنَّ أنها تسلم لك نيةٌ صالحةٌ وفي قلبك شيءٌ من الحسد والرياء والعُجب ، وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : « **ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ : شُحٌّ مُطَاعٌ ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ** »[1] .

❁ ❁ ❁

فَصْلٌ

الحسود : هو الذي يشقُّ عليه إنعام الله تعالىٰ من خزائن قدرته علىٰ عبدٍ من عباده بمالٍ أو علمٍ أو محبةٍ في قلوب الناس ، أو حظٍّ من الحظوظ ، حتىٰ إنَّه ليحبُّ زوالها عنه وإن لم تحصل له ، وهٰذا مُنتهى الخُبْثِ ؛ ولهٰذا قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم :

---

(١) رواه الطبراني في « الأوسط » (٥٤٥٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٤٣) ، والبيهقي في « الشعب » (٧٣١) .

« الْحَسَدُ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ »[1] .

والحسود : هو المُعذَّب الذي لا يُرْحَم ، ولا يزال في عذابٍ دائمٍ ؛ فإنَّ الدنيا لا تخلو قطُّ من خَلْق كثيرٍ من أقرانه ومعارفه ممَّن أنعم الله تعالىٰ عليهم ، ولعذاب الآخرة أشد وأكبر ، بل لا يصل العبد إلىٰ حقيقة الإيمان ما لم يحبَّ لسائر المسلمين ما يحبُّ لنفسه ، بل ينبغي أن يُساهم المسلمين في السَّرَّاء والضَّرَّاء .

والمسلمون كالبنيان الواحد يشدُّ بعضه بعضاً ، وكالجسد الواحد إذا اشتكىٰ منه عضوٌ .. اشتكىٰ سائر الجسد .

فإنْ كنتَ لا تصادفُ هٰذا من قلبك .. فاشتغالُكَ بطلب الخلاص عن الهلاك أهم مِنِ اشتغالِكِ بنوادر الفُروع وعلم الخُصومات .

❁ ❁ ❁

❁ فَصْلٌ ❁

وأمَّا الرِّياء .. فهو الشرك الخفي ؛ وهو طلبك للمنزلة في قلوب الخلق لتنال به الجاه والحشمة ، وحبُّ الجاه من الهوى المُتَّبَعَ المُهلِك ، وفيه هلك أكثرُ الناس ، فما أهلكَ الناسَ إلَّا الناسُ .

ولو أنصف أكثر الناس .. لعلموا أن أكثر ما هم فيه من العلوم والعبادات – فضلاً العادات – ليس يحملهم عليها إلَّا مُراءاةُ الناسِ ،

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٠٥) ، وابن ماجة (٤٢١٠) ، والبيهقي (٦٦٠٨) .

وهي مُحبطةٌ للأعمالِ ؛ كما ورد في الخبر : « **إن الشهيد يؤمر به يوم القيامة إلى النار فيقول : يا رب ؛ استشهدتُ في سبيلك ، فيقول الله تعالىٰ : أردتَ أن يُقال : إنك شجاعٌ فقد قيل ، وذلك أجرك** »[1] ، وكذا يُقال للعالِم والحاج والقارىء .

❁ ❁ ❁

فَصْلٌ

وأمَّا العُجب والكبر والفخر .. فهو الدَّاء العُضال ، وهو نظر العبد إلىٰ نفسه بعين العِزِّ والاستعظام وإلىٰ غيره بعين الذُّلِّ والاستحقار ، وثمرته في المجالس الترفُّعُ والتقدُّمُ ، والتصدُّرُ والاسْتِنْكافُ مِنْ أنْ يُرَدَّ عليكَ كلامُكَ .

والمتكبر : هو الذي إنْ وُعِظ .. أَنِفَ ، وإنْ وَعَظَ .. عَنَّفَ ، وكل من رأىٰ نفسه خيراً مِنْ أحدٍ مِنْ خَلْق الله تعالىٰ .. فهو متكبر ، بل يجب أنْ تعلَم أنْ الخير هو خيرٌ عند الله تعالىٰ في الدار الآخرة ، وذلك غيبٌ وهو موقوفٌ على الخاتمة .

واعتقادك في نفسك أنك خيرٌ من غيرك جهلٌ محضٌ ، بل ينبغي ألَّا تنظر إلىٰ أحدٍ إلَّا وترىٰ أنه خيرٌ منك ، وأنَّ الفضل له علىٰ نفسك ؛

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٩٠٥) ، ولفظه : « إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ ، قَالَ : كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ : جَرِيءٌ ، فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ » .

فإن رأيتَ صغيراً .. قلتَ : هٰذا لم يعصِ الله تعالىٰ وأنا عصيتُه ، ولا شك أنه خيرٌ منِّي .

وإن رأيتَ كبيراً .. قلتَ : هٰذا قد عَبَدَ الله قبلي .

وإن كان عالماً .. قلتَ : هٰذا قد أُعطي ما لم أُعْطَ ، وبلغ ما لم أبلغ ، وعلم ما جهلت ، فكيف أكون مثله ؟!

وإن كان جاهلاً .. قلتَ : هٰذا قد عصى الله تعالىٰ بجهلٍ وأنا عصيتُه بعلمٍ ، فحُجَّةُ اللهِ عليَّ آكد .

وإن رأيت كافراً .. قلتَ : لا أدري بم يُختم لي وبم يُختم له ؟!

فشَغَلَك خوف الخاتمة أن تتكَّبر - مع الشك فيها - علىٰ عباد الله ، ويقينك في الحال لا يُناقِضُ تَجْويزَكَ التَّغيُّرَ في الاستقبال ؛ فإنَّ الله مُقلب القلوب يهدي مَن يشاء ويضلُّ مَن يشاء .

فانظر أي أمورك أهم أنْ تتعلَّم : كيفية الحذر من هٰذه المُهلكات ، وتشتغلَ بإصلاح قلبك وعمارة آخرتك ، أم الأهم أن تخوض مع الخائضين ، وتطلُبَ ما هو سببٌ لزيادة الكبر والحسد والعجب حتىٰ تهلكَ مع الهالكين ؟!

❋ ❋ ❋

وَٱعْلَمْ : أنَّ هٰذه الخصال الثلاث مِنْ أُمَّهاتِ خبائث القلب ، ولها مَغْرِسٌ واحدٌ وهو حبُّ الدنيا ؛ فلذلك قال رسول الله صلّى الله

عليه وآله وسلّم : « حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ »[1] .

ومع هٰذا : فالدنيا مزرعةُ الآخرة ، فمَنْ أخذ من الدنيا بقَدْر الضَّرورة مِنْ حِلِّه ليستعين به على الآخرة .. فالدنيا مَزْرعتُهُ ، ومَنْ أراد الدنيا ليتنعَّمَ بها .. فالدنيا مَهْلَكَتُهُ .

فهٰذه نبذةٌ يسيرةٌ مِنْ ظاهر التقوىٰ ، فإنْ جرَّبت بها نفسك فطاوَعَتْكَ عليها .. فعليك بكتاب « إحياء علوم الدين » لتعرف كيفية الوصول إلىٰ باطن علم التقوىٰ .

فإذا عَمَرتَ بالتقوىٰ باطن قلبك .. فعند ذٰلك ترتفعُ الحُجُبُ بينك وبين ربك تعالىٰ ، وتنكشِفُ لك أنوار المعرفة ، وتتفجَّرُ مِنْ قلبك ينابيع الحكمة ، وتتضح لك أسرار المُلْكِ والملكوت .

فهٰذه جملة الهداية إلىٰ بداية الطريق في معاملتك مع الله تعالىٰ بأداء أوامره و اجتناب نواهيه .

❁ ❁ ❁

فَصْلٌ

وَٱعْلَمْ : أنَّ صاحبك الذي لا يُفارقك في حضرك وسفرك ،

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « ذم الدنيا » (٩) والبيهقي في « الشعب » رفعه مرسلًا عن الحسن وإسناده حسن ، ورواه البيهقي أيضًا (٩٩٧٤) وأبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٣٨٨) من كلام سيدنا عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام ، ورواه ابن أبي الدنيا في « الزهد » (٤٩٧) من قول مالك بن دينار .

ونومك ويقظتك ، بل في حياتك وموتك .. هو ربك وسيدك ومولاك وخالقك ، ومهما ذكرته .. فهو جليسك ؛ إذ قال تعالىٰ : « **أَنَا جَلِيْسُ مَنْ ذَكَرَنِي** »[1] ، وقال تعالىٰ : « **أنا عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ أَجْلِي** »[2] .

فلو عرفتَهُ حقَّ معرفتِهِ .. لاتخذتَهُ صاحباً ، وتركتَ الناس جانباً ، فإنْ لم تقدر علىٰ ذلك في جميع أوقاتك .. فإيَّاك أن تُخلِّي ليلك ونهارك عن وقتٍ تخلو فيه بمولاك ، وتتلذَّذُ معه فيه بمناجاتك .

وآدابها : إطراقُ الطَّرْفِ ، وجمعُ الهمِّ ، ودوام الصمت ، وسكون الجوارح ، ومبادرة الأمر ، واجتناب النهي ، وقلَّةُ الاعتِراض على القَدَرِ ، ودوام الذكر ، وملازمة الفكر ، وإيثار الحق ، واليأس مِنَ الخَلْق ، والخضوع تحت الهيبة ، والانكسار تحت الحياء ، والسُّكُونُ عن حِيَلِ الكسب ثقةً بالضَّمانِ ، والتوكُّل علىٰ فَضْلِ اللهِ تعالىٰ معرفةً بحُسْنِ الاختيار .

وهذا كله ينبغي أن يكون شِعارَكَ في جميع ليلك ونهارك ؛ فإنه آداب الصحبة مع صاحبٍ لا يُفارقك ، والخَلق يفارقونك في بعض أوقاتك .

❁ ❁ ❁

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في « مصنفه » (١٢٣١) .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (٧٥) ، ولفظه : (**قال داود النبي صلّى الله عليه وسلّم : أيْ ربِّ أين ألقاكَ ؟ قال : تلقاني عند المنكسرة قلوبهم**) .

فَصْلٌ

فإنْ كنتَ عالمًا .. فآداب العالِم : سَعَةُ الاحتمال ، ولُزوم الحِلْم ، والجلوس بالهيبة علىٰ سَمْتِ الوقار مع إطراق الرأس ، وترك التَّكبُّر علىٰ جميع العباد ، وإيثار التواضع في المجالس والمحافل ، وترك الهَزْلِ واللعب ، والرِّفْقُ بالمُتعلِّم ، والتَّأنِّي بالمُتَعَجْرِفِ ، وإصلاح البليد بحُسْنِ الإرشاد ، وترك الحَرَدِ عليه ، وترك الأَنَفَةِ مِن قَوْلِ : (لا أدري) ، وصرف الهمَّة إلى السائل ، وتفهُّمُ سُؤالِهِ ، وقبول الحُجَّة ، والانقيادُ للحقِّ بالرُّجوع إليه عند الهَفْوَةِ ، ومنعُ المُتعلِّم من كلِّ عِلْمٍ يضُرُّهُ ، وزجره عن أن يريد بالعلم النافع غيرَ وجه الله تعالىٰ ، وصدُّ المُتعلِّم عن أن يشتغل بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين ، وفرضُ عينه إصلاح ظاهره وباطنه بالتقوىٰ ، ومُؤاخذَتُهُ نفسَهُ أوَّلاً بالتقوىٰ ؛ ليقتديَ المُتعلِّمُ أولاً بأعماله ، ويستفيد ثانيًا بأقواله .

❁ ❁ ❁

فَصْلٌ

وإنْ كنتَ مُتعلِّمًا .. فأدب المتعلِّم مع العالم أن يبدأه بالسلام ، وأن يُقِلَّ بين يديه الكلام ، ولا يتكلم ما لم يسأله أستاذه ، ولا يسأله ما لم يستأذنه أوَّلاً ، ولا يقول في معارضة قوله : قال فلانٌ خِلافَ قولك ، ولا يُشيرُ عليه بخِلافَ رأيه فيرىٰ أنه أعلم بالصواب من أستاذه ، ولا يُسارَّ جليسَهُ في مجلسه ، ولا يلتفت فيه إلى الجوانب ، بل يجلس مُطْرِقًا ساكتًا متأدّبًا كأنَّه في الصلاة ، ولا يُكثر عليه عند

مَلَلِهِ ، وإذا قام .. فلا يُتابعه بكلامه ، ولا يُسيء الظَّنَّ به .

❁ ❁ ❁

فَصْلٌ

وإنْ كان لكَ والِدَان .. فأدب الولد مع الوالدين أنْ يسمعَ كلامهما ، ويمتثل أمرهما ، ولا يمشي أمامهما ، ولا يرفع صوته فوق صوتهما ، ويُلبِّيَ دعوتَهُما ، ويحرِصَ علىٰ طلب مرضاتهما ، ويخفض لهما جناح الذُّلِّ ، ولا يمُنُّ عليهما بالبِرِّ لهما ولا بالقيام لأمرهما ، ولا يُقطِّب وجهه في وجههما ، ولا يُسافر إلَّا بإذنهما .

❁ ❁ ❁

فَصْلٌ

وَٱعْلَمْ : أنَّ الناس بعد هٰؤلاء في حقِّكَ ثلاثةُ أقسامٍ : إمَّا مَجاهيلُ ، وإمَّا أصدقاءُ ، وإمَّا مَعارِفُ .

فإنْ بُليتَ بالعوامِّ المجهولين .. فأدبُ مجالسة العامَّة : تركُ الخوض معهم في حديثهم ، وقِلَّةُ الإصغاء إلىٰ أراجيفِهِمْ ، والتغافلُ عمَّا يجري مِنْ سُوء ألفاظهم ، والاحترازُ من كثرة لقائهم والحاجة إليهم ، والتنبيهُ علىٰ مُنكراتِهِمْ باللُّطف والنُّصح عند رجاء القبول منهم .

❁ ❁ ❁

فَصْلٌ

وأمَّا الإخوة والأصدقاء .. فعليك معهم وظيفتان :

أحدهما : أن تطلب أوّلاً شروط الصحبة والصداقة ، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : « **الْمَرْءُ عَلَىٰ دِيْنِ خَلِيلِهِ ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ** »[1] .

فلا تُؤاخِ إلَّا مَنْ فيه خمس خصالٍ :

الأُولىٰ : العقلُ

فلا خير في صُحبة الأحمق ، وإلى الوَحْشَةِ والقَطيعَةِ يصيرُ آخرها ، وأحسن أحواله أنْ يضُرّكَ وهو يريدُ أنْ ينفعكَ ، والعدو العاقل خيرٌ من الصديق الأحمق ، قال أمير المؤمنين مولانا علي رضي الله عنه شعراً :

وَلَا تَصْحَبْ أَخَا الْجَهْلِ ... وَإِيَّاكَ وَإِيَّاهُ

فَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَرْدَىٰ ... حَلِيْمًا حِيْنَ وَاخَاهُ

يُقَاسُ الْمَرْءُ بِالْمَرءِ ... إِذَا مَا هُوَ مَاشَاهُ

وَلِلشَّيءِ عَلَى الشَّيءِ ... مَقَايِيْسٌ وَأَشْبَاهُ

وَلِلْقَلْبِ عَلَى الْقَلْبِ ... دَلِيْلٌ حِيْنَ يَلْقَاهُ

---

(١) رواه أحمد (٨٠١٥) ، وأبو داود (٤٨٣٣) ، والترمذي وحسّنه (٢٣٧٨) ، والبيهقي (٨٩٩٢) ، والحاكم (٧٣٢٠) وقال : (صحيح إن شاء الله تعالى ولم يخرجاه) ، وصححه الذهبي .

الثانية : حُسن الخُلُق

فلا تصحب من ساء خُلُقه ؛ وهو الذي لا يملكُ نفسَهُ عند الغضب والشهوة .

الثالثة : الصَّلاح

فلا تصحب فاسقًا ؛ لأنَّ مَنْ لا يخاف الله تعالىٰ لا تُؤْمَنُ غائِلَتُهُ ، بل يتغيَّرُ بتغيُّرِ الأغراض ، قال الله تعالىٰ : ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ .

ومشاهدةُ الفاسقِ والمعصيةِ على الدَّوام تُزيلُ مِن قلبكَ كراهيةَ المعصيةِ ؛ ولذلك هانَ على القلوب معصيةُ الغِيبة لإلْفِهِمْ لها .

الرابعة : ألَّا يكون حريصًا على الدنيا

فصحبة الحريص على الدنيا سُمٌّ قاتل ؛ لأنَّ الطبع يسرق مِن الطبع من حيث لا تدري .

فمُجالسةُ الحريص تزيد في حرصك ، ومُجالسةُ الزاهد تزيد في زهدك .

الخامسة : الصِّدق

فلا تصحب كاذبًا ؛ فإنَّك منه علىٰ غرورٍ ، وهو كالسَّراب يُقرِّبُ منك البعيد ويُبعدُ منك القريب .

ولعلَّك تَعْدَمُ هٰذه الخصال في سُكَّانِ المدارس والمساجد، فعليك بالعُزْلة والانْفِراد؛ ففيها سلامتُكَ، ولا تُخالِطْ إلَّا بقدر الضَّرورة.

❁ ❁ ❁

فَصْلٌ

الناسُ ثلاثةٌ:

أحدهم: مثل الغذاء لا يُستغنىٰ عنه.

والثاني: مثل الدَّواء لا يُحتاج له إلَّا في وقتٍ دون وقتٍ.

والثالث: مثل الدَّاء لا يُحتاج إليه قط، ولكنَّ العبد قد يُبتلى به، وهو الذي لا أُنس فيه ولا نفع، فتجب مُداراته إلى الخلاص من شرِّه.

وفي مشاهدته فائدةٌ عظيمةٌ؛ وهي أن تُشاهد مِنْ خبائِثِه ما تستقبِحُهُ فتجتنِبَهُ، فالسَّعيد من وُعظ بغيره.

❁ ❁ ❁

فَصْلٌ

للصُّحبة حقوقٌ وآدابٌ[1]، قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «**مَا**

---

(١) **الوظيفة الثانية** من وظائف الإخوة والأصدقاء هي: (مراعاة حقوق الصحبة).

مِـنْ صَاحِـبٍ يَصْحَـبُ صَاحِبـًا وَلَـوْ سَـاعَةً مِـنْ نَهَـارٍ .. إِلَّا سُـئِلَ عَـنْ صُحْبَتِـهِ ، هَـلْ أَقَـامَ فِيهَـا حَـقَّ اللهِ تَعَالَـىٰ أَمْ أَضَاعَـهُ ؟! »[1] .

« وَمَـا اصْطَحَـبَ اثْنَـانِ قَـطُّ إِلَّا كَانَ أَحَبُّهُمَـا إِلَـى اللهِ أَرْفَقَهُمَـا بِصَاحِبِـهِ »[2] .

فـآدابُ الصُّحبـة : الإيثـارُ بالمـال ، فـإنْ لـمْ يكُـنْ هٰذا .. فبـذلُ الفَضْلِ مِـنَ المـال عنـد الحاجة .

والإعانـةُ بالنَّفْـسِ في الحاجـات علـىٰ سـبيل المُبـادرة مِـنْ غيـر التمـاسٍ ، وكِتمـانُ السِّـرِّ ، وسـتر العيـوب ، والسُّـكوتُ عـن تبليـغ مـا يسُـوؤُهُ ، وإبـلاغ مـا يسـرُّه ، وحُسـن الإصغـاء إلـىٰ حديثـه ، وأنْ يشـكُرَهُ علـىٰ صنيعـه ، وأنْ يـذُبَّ عنـه في غيبتـه ، وأن ينصحـه باللُّطـف والتَّعريـض إن احتـاج إليـه ، وأنْ يعفـو عـن زلَلِـهِ ، وأنْ يدعـو لـه في حياتـه وبعـد مماتـه ، وأنْ يُحسِـن الوفـاء مـع أهلـه وأقاربـه بعـد موتـه ، وأنْ يُؤْثـرَ التَّخفيـفَ عنـه فـلا يُكلِّفَـهُ شـيئـًا مـن حاجتـه ، ويـروِّح سِـرَّهُ عـن مُهمَّاتـه ، وأنْ يفـرح لفرحـه ويحـزن لحزنـه .. وأنْ يُضمِـر مثـل مـا يُظهِـر .

---

(١) كذا في « القوت » (٢/ ٢٣٧) ، وقد رواه بنحوه ابن جرير الطبري في « تفسيره » (٨/ ٣٤٥) ، وابن حبان في « المجروحين » (١/ ١٥٦) ، والنهرواني في « الجليس الصالح » (١/ ٣٩٥)

(٢) رواه البخاري في « الأدب المفرد » (٥٤٤) ، وابن حبان في « صحيحه » (٥٦٦) ، ولفظه : « مَا تَحَابَّ اثْنَانِ فِي اللَّهِ ، إِلَّا كَانَ أَفْضَلَهُمَا أَشَدُّهُمَا حُبًّا لِصَاحِبِهِ » ، وكذا في « الشعب » (٨٦٣١) ، و« المطالب العالية » (٢٧٦٠) ، و« المستدرك » (٧٣٢٣) وقال : حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وصححه الذهبي ، واللفظ المثبت في « القوت » (٢/ ٢١٧) .

وعلى الجملة : فيعاملُهُ بما يحبُّ أن يُعامَل به ، فمن لا يُحبُّ لأخيه ما يُحبُّ لنفسه .. فأُخُوَّتُهُ نِفاقٌ ، وهي عليه في الدنيا والآخرة وبالٌ .

أقْلِلْ مِنْ معرفة الناس ، فإنْ بليتَ بهم في مدرسةٍ أو جامعٍ أو مسجدٍ أو بلدٍ أو سوقٍ .. **فيجبُ** ألَّا تَسْتَصْغِرَ منهم أحداً ؛ فإنَّك لا تدري لعلَّهُ خيرٌ منك ، ولا تنظُرْ إليهم بعين التَّعظيم لهم في حال دنياهم فتهلِكَ .

وإيَّاك أنْ تبذل لهم دينك لتنال من دنياهم ، فلن يفعل ذلك أحدٌ إلَّا صَغُرَ في أعينهم ، ثمَّ حُرِمَ ما عندهم .

وإنْ عادَوْكَ .. فلا تُقابلهم بالعداوة ؛ فإنَّك لا تُطيق ذلك ، ويذهب دِينك فيهم ، ويطول عناؤُك معهم ، ولا تسكُنْ إليهم في حال إكرامهم إيَّاك وثنائِهِمْ عليكَ ، وإظهارهم المودَّةَ لكَ ؛ فإنِّك إنْ طلبتَ حقيقة ذلك .. لم تجد في المئة واحداً ، ولا تطمعْ أن يكونوا لك في السِّرِّ والعلن سواءً ، ولا تتعجَّبْ إنْ ثَلَبُوكَ في غَيْبَتِكَ ؛ فإنِّك إنْ أنصفتَ .. وجدتَ مِنْ نفسكَ مثل ذلك حتىٰ في أصدقائك وأقاربك ، بل في أُستاذك ووالِدَيك ، فإنَّك تذكُرُهُمْ في الغَيْبَةِ بما لا تُشافِهُهُمْ به .

واقطعْ طمعك عن مالهم وجاههم ومَعُونَتِهِمْ ؛ فإنَّ الطَّامع في

الأكثر خائبٌ في المآل ، وهو ذليلٌ لا محالةَ في الحال .

وإذا سألتَ واحداً حاجةً فقضاها .. فاشكر الله تعالىٰ ثمَّ اشكره ، وإنْ قصَّر .. فلا تُعاتِبْهُ ولا تَشْكُهُ ، بل اعذره ؛ فإنَّ المؤمن يطلب المَعاذير ، ولا تكن كالمنافق يطلب العيوب .

ولا تَعِظَنَّ أحداً منهم ما لم تتوسَّمْ فيه أوَّلاً مَخَايِلَ القبول ، وإلَّا .. لم يسمَعْ منك وكان خصماً عليك إلَّا إذا تعلَّق ذلك بمعصيةٍ يُقارِفونَها في الحال ، فاذكر الحقَّ بلطفٍ من غير عنفٍ ، وكن سميعاً لحقهم ، أصمَّ عن باطلهم ، نطوقاً بمحاسنهم ، صموتاً عن مساويهم ، وكن كما قال هلالُ بن العلاءِ الرَّقِّيُّ رضي الله تعالىٰ عنه :

لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أَحْقِدْ عَلَىٰ أَحَدٍ ... أَرَحْتُ نَفْسِيَ مِنْ هَمِّ الْعَدَاوَاتِ
إِنِّي أُحَيِّي عَدُوِّي عِنْدَ رُؤْيَتِهِ ... لِأَدْفَعَ الشَّرَّ عَنِّي بِالتَّحِيَّاتِ
وَأُظْهِرُ البِشْرَ لِلْإِنْسَانِ أُبْغِضُهُ ... كَأَنَّهُ قَدْ مَلَا قَلْبِي مَسَرَّاتِ
فَسَالِمِ النَّاسَ تَسْلَمْ مِنْ غَوَائِلِهِمْ ... وَكُنْ حَرِيْصاً عَلَىٰ كَسْبِ التَّقِيَّاتِ
وَلَسْتُ أَسْلَمُ مِمَّنْ لَسْتُ أَعْرِفُهُ ... فَكَيْفَ أَسْلَمُ مِنْ أَهْلِ الْمَوَدَّاتِ
النَّاسُ دَاءٌ ، دَوَاءُ النَّاسِ تَرْكُهُمُ ... وَفِي الْجَفَاءِ لَهُمْ قَطْعُ الْأُخُوَّاتِ
فَخَالِقِ النَّاسَ وَاصْبِرْ مَا بُلِيْتَ بِهِمْ ... أَصَمَّ أَبْكَمَ أَعْمَىٰ ذَا تَقِيَّاتِ

فَصْلٌ

كُـنْ في جميـع أمـورك في أوسَـطِها ، فـكِلَا طَرَفَـيْ الأمـور ذميـمٌ ؛ كمـا قـال بعـض الحكمـاء : (الْـقَ صديقـك وعـدُوَّكَ بوجـهِ الرِّضـا مـن غيـر مذلـةٍ لهمـا ولا هيبـةٍ منهمـا ، وتوقَّـرْ مـن غيـر كِبْـرٍ ، وتواضـعْ مـن غيـر مَذلَّـةٍ ، ولا تنظـرْ في عِطْفَيـكَ ، ولا تُكثـرِ الالتفـاتَ ، ولا تقـفْ علـى الجماعـاتِ ، وإذا جلسـتَ .. فـلا تَسْـتَوْفِزْ ، وتَحَفَّـظْ مـن تَشْـبيكَ أصابعِـكَ ، والعبـث بلحيتـك وخاتَمِـك ، وتخليـلِ أسـنانِكَ ، وإدخـالِ إصبَعِـكَ في أنفـك ، وكثـرة بُصاقـك وتنخُّمـك ، وطـرد الذُّبـاب عـن وجهـك ، وكثـرة الضحـك والتَّمَطِّـي والتَّثـاؤُبِ في وجـوه النـاس ، وفي الصـلاة وغيرهـا .

***

ولتكـن في مجلسـك هادئـًا ، وحديثـك منظومـًا مُرتَّبـًا ، وأَصغِ إلـى الـكلام الحسـن مِـنْ غيـر إفـراطِ تعجُّـبٍ ، ولا تسـألْهُ إعادتَـهُ ، واسـكت عـن المَضاحـك والحكايـات ، ولا تُحَـدِّثْ عـن إعجابِـكَ بوَلَـدِكَ وكلامِـكَ وسـائر مـا يخُصُّـكَ .

***

ولا تُشـجِّع أحـداً علـى الظُّلـم ، ولا تُلِـحَّ في الحاجـات ، ولا تُعْلِـمْ أهلـكَ وولـدكَ فضـلاً عـن غيرهـم مِقـدار مالـك ، واجْفُهُـمْ مـن غيـر عُنـفٍ ، ولِـنْ لهـم مـن غيـر ضعـفٍ ، ولا تُهـازِلْ أمَتَـكَ وعبـدك فيسـقُطَ وقـارُكَ .

وإنْ خاصمتَ .. فتوقَّرْ وتحذَّرْ عن جهلك وعجلتك ، وإذا ذهب غضبك .. فتكلَّم .

❁ ❁ ❁

وإنْ قرَّبكَ السُّلطان .. فكن منه علىٰ مثل حَدِّ السِّنانِ ، وإيَّاك وصديق العافية ؛ فإنَّه أعدى الأعداء عليك ، ولا تجعلْ مالَكَ أكرمَ مِنْ عِرْضِكَ)) .

انتهىٰ ما يسَّر الله نقله من « بداية الهداية » .

❁ ❁ ❁

فَصْلٌ

اَعْلَمْ : أنَّ ثمرةَ العلم العملُ به ، ومَنْ عمل بما عَلِم .. ورَّثه الله عِلْم ما لم يعلم ، قال الفقيه عمر بامخرمة رحمه الله تعالىٰ :

حَدْ سَيلْ فِي جَرْيِهْ وزَرْعُهْ طَمُولْ وحَدْ من الطَّشْ جَرْبُهْ جابْ طُحْبَهْ سَبُولْ

وهذا له معانٍ : فمنها أنَّ بعض الناس يسمع ختمةً بعد ختمةٍ ، أو كتاباً بعد كتابٍ ، أو موعظةً بعد موعظةٍ ، (وزَرْعُهْ طَمُولْ) أي : لم يُؤَثِّر ذلك فيه شيئاً بأعمالٍ أو امتثالٍ ، وتوبةٍ وإقبالٍ .

(وحَدْ من الطَّشْ جَرْبُهْ جَابْ طُحْبَهْ سَبُولْ) أي : بعض الناس يسمع عِلماً قليلاً ويعمل عملاً كثيراً ؛ كالذي سمع قوله : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ ، فولَّىٰ وقال : هٰذا يكفيني ، فقال : فَقُهَ الرَّجُل .

أو كالذي سمع قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم : « مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ »[1] ، فقام وقال : حتىٰ نعمل بهٰذا .

وبقي خطيبٌ يكرِّر علىٰ أهل بلده خطبةً كل جمعةٍ ، فعاتبوه في ذلك ، فقال : حتىٰ تعملوا بما في هٰذه نأتي بأخرى .

وقيل للإمام عبد الله بن المبارك : هل بقي من ينصح ؟ فقال : وهل بقي من يقبل ؟![2]

اللَّهمَّ ؛ مغفرتُكَ أوسعُ مِنْ ذُنوبِنا ، ورحمتُكَ أرجىٰ عندنا مِنْ أعمالِنا ، سبحانك اللَّهمَّ وبحمدك ، أشهدُ أنْ لا إله إلَّا أنتَ ، عملتُ سوءاً وظلمتُ نفسي ، فاغفر لي ؛ فإنَّه لا يغفر الذُّنوب إلَّا أنتَ ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ * وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

قال المؤلِّفُ : وكان الفراغ أول أيام التَّشريق أواخر سنة (١٢٥٦هـ) ألف ومئتين وست وخمسين هجرية .

❁ ❁ ❁

---

(١) رواه الترمذي (٢٣١٧) ، وابن حبان في « صحيحه » (٢٢٩) ، والطبراني في « الأوسط » (٣٥٩) ، والبيهقي في « الشعب » (٤٦٣٣) .

(٢) «صفة الصفوة» لابن الجوزي (٢/ ٣٢٩)